جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

شعبة الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر أكاديمي

تخصص: تاريخ الفلسفة

إعداد الطالب: يوسف عقون

الموضوع:

إشكاليّة العلاقة بين اللّغة والعقل عند جورج طرابيشي

أمام لجنة المناقشة المكونة من :

الأستاذ : عاشور بن قويدر ..... رئيسا

الأستاذ : برابح عمر ..... مشرفاً

الدكتورة : شهيدة لعموري ..... مناقشا

الموسم الجامعي : 2018/2017

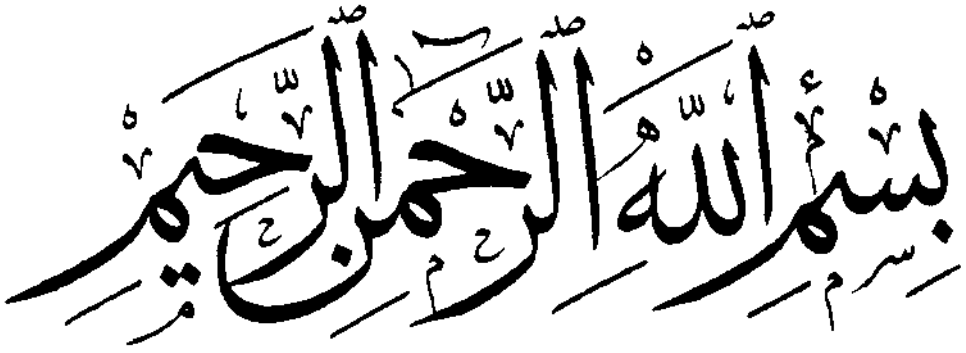
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الجبلين الأشمخين في دنيا الرّعاية والأمان.....أبي وأمي .

إلى الصدر الذي جعلته درعا بيني وبين أحداث الزمان .....أخي احمد .

إلى الشموع التي أوقدت لأستأنس بها أيام عمري .....إخوتي وأخواتي .

إلى الذين حملوا مشعل الأبوة الدينية والتربية الأخلاقية ،قناديل الظلمات وبدور الدّجنات.....

أساتذتي و أشياخي في كل أطوار حياتي وتقلبات أحوالي .

شكر وعرفان

يطيب لي بعد أن أقفلت هذه الصفحات بحمد الله أن أتقدّم بموفور الشّكر والتّقدير إلى الأستاذ الفاضل " عمر برابح " على ما بذله معي من نصح وتوجيه طيلة إنجازي لهذا البحث ، فله منّي خالص آيات الإكبار وأسمى معاني التقدير ، فجزاه الله عنّا خير الجزاء وأثابه أجرا عظيما .

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى السّادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم قراءة ومناقشة بحثي ، كما لا أنسى أن أتقدم بالشّكر أيضا إلى من قدّم لي يد العون من أساتذتي وزملائي في قسم الفلسفة .

إلى كل هؤلاء أوجّه شكري في تواضع تام إخلاص دائم .

يوسف

ملخص المذكرة

باللغة العربية :

نتناول في هذه الدّراسة التي بين أيدينا، إشكاليّة اللّغة والعقل في الثّقافة العربية الإسلامية لدى المفكِّر جورج طرابيشي، وذلك ضمن مشروعه الفكري " نقد نقد العقل العربي"، المتصدِّي لمشروع الجابري "نقد العقل العربي"، وهذا برجوعه إلى رُوَّاد النَّظرية الألمانية والذي استأنس بهم الجابري في إثبات فرضيته الأساسية، التي تعتبر اللّغة كمحدد مطلق لرؤية العالم، فضلاً عن تطرق طرابيشي لجدليّة اللّغة و العالم – اللّغة والزّمان، وهذا سعياً منه لتقويم إشكاليّة علاقة التأثير بين اللّغة والعقل، كما قام جورج طرابيشي بدحض كل من دعوى لا تاريخيّة وحسيّة اللّغة العربية، ذهنيّة وموسيقيّة اللغة العربية، لا حملية اللغة العربية وهذا رداً على أطروحة الجابري القائلة بأنّ العقل العربي مريضٌ بلغته.

الكلمات المفتاحيّة :

لغة، عقل ، لاحمليّة ، لا تاريخيّة، لازمانية، موسيقيّة .

In English :

In this study، we will examine the problem of language and mind in the Arab-Islamic culture of the thinker George Tarabishi، in his intellectual project Criticism of the Criticism of the Arab Mind، which deals with the Jabri Project Criticism of the Arab Mind. This is due to the pioneers of German theory، His main hypothesis is that language is an absolute determinant of the world's vision. Tarabishi also tackled the dialectic of the Arabic language - the world - time، in an effort to assess the problematic relationship between language and mind. George Tarabishi refuted both historical and sensual Arabic، Arabic، not the local Arabic language، and this is in response to the Jabri thesis that the Arab mind is sick in his language.

key words :

، mental، sensual، not historical، gestational، mind، Language musical .

مقـــــــدمة

تُعتبر اللّغة من أهمِّ وسائل التّفاهم والإحتكاك بين أفراد المجتمع في جَميع ميادين الحياة، ممّا يجعلها تتَّخذ طابع الضّرورة في حياة وواقعِ الإنسان، إلى درجة أنّه لا يمكن أنْ نرغب أو نتساءل خارج اللّغة، والذي جعل من اللّغة إشكالاً فلسفيًا ضخماً ممتدًا وأزليّا، كونها تُشكّل النسيج العلائقي بين الإنسان و الواقع.

لقد كان محمد عابد الجابري (1936–2010م) أحدُ قاماتِ الفكرِ في العالمِ العربي، منشغلاً بالبحثِ عن أسباب تخلّف وانحطاط الحضارة العربية الإسلامية، التي لطالما ملأتْ العالم بمنجزاتها وثمارها الفكرية والفلسفية، إذْ بدأً بممارسة تنقيب إبستمولوجي في التّراث العربي الإسلامي، وكانت نتيجة هذا البحث مشروع " نقد العقل العربي"، إلاَّ أنّ المفكر السوري جورج طرابيشي (1939–2016م) تصدَّى له بمشروع نقدي آخر حَمِل عنوان " نقد نقد العقل العربي ".

تعرّض الجابري إلى موضوع العلاقة بين اللّغة والفكر مفترضًا أنّ اللغة العربية هي عامل من عوامل تخلّف العقل العربي وقد تحوّل هذا الإفتراض إلى نتيجة تمثّلت في أنّ العقل العربي قد وقع حبيسًا للّغة العربية، لغة الأعراب التي عكست عالمهم الصحراوي وتفكيرهم الحسي، ومن هذا المنطلق واجه طرابيشي هذه النتيجة بمحاججة تفصيليّة في أسلوبها وغنيّة في مُحتواها ، إذّ حَمِلت الكثير من الرّدود و الاعتراضات على أحكام الجابري على اللّغة العربية ، وبالتّالي فالتّساؤل الرئيس الذي يُطرح هنا هو : كيف برَّأ جورج طرابيشي ساحةَ اللغةِ العربية من تُهمة تجميدِ العقلِ العربي ؟

ومنه تتفرّع التّساؤلات التّالية :

* لماذا إهتمّ جورج طرابيشي بإشكاليّة اللّغة والعقل ؟

* كيف كانت رؤية جورج طرابيشي للعلاقة الجدليّة القائمة بين اللّغة والفكر، اللّغة والعالم ، اللّغة والزمان ؟

* فيم تمثَّلت أهمّ ردود جورج طرابيشي على مزاعم الجابري في ما يتعلّق بلا تاريخيّة و حسيّة و ذهنيّة و موسيقيّة و لا حمليّة اللغة العربية ؟

أمَّا عن أسباب إختيار الموضوع فكانت :

– ذاتيّة: تمثّلت بالرّغبة الكبيرة في البحث عن إشكاليات ذات علاقة باللغة العربية، خاصة مع الإهتمام الكبير الذي أولاه جورج طرابيشي لها.

– موضوعيّة: من خلال الأهميّة الكبيرة التي تحظى بها إشكالية اللّغة والفكر عامةً، وفي الثّقافة العربية خاصة، بالإضافة إلى كون السِّجال الفكري بين الجابري وطرابيشي قد لقيَ الإهتمام الكبير، باعتباره صراع بين مشروعين فكريّين، لكنَّ المشكلات الفرعية التي تضمّنها المشروعان تحتاج إلى إعادة الطّرح ومن ثمّ البحث عن حلول لها .

أمّا في ما يخصُّ البناء الهيكلي للموضوع، فقد بدأت هذا البحث بمقدمة، والتي انتهت بطرح الإشكال وللإجابة عليه خصَّصْتُ ثلاثة فصول : فصل أوّل تضمَّن مدخلاً مفاهيميًّا لمصطلحات: لُغَة– عَقْل– تُرَاث، بالإضافة إلى تأصيلٍ نقدي لإشكالية علاقة اللّغة العربية بالعقل العربي، أمّا الفصل الثاني فقد جاء تحت عنوان "رؤية طرابيشي لعلاقة اللّغة بالفكر، واللّغة بالعالم ، واللّغة

بالزمان "، وقدِ انقسم إلى مبحثين ، تضمَّن الأوّل تقويم طرابيشي لإشكالية العلاقة بين اللّغة والفكر من خلال نفس المفكرين الذين اسْتأنَس بهم الجابري في بناء تصوّره لهذه العلاقة، أمّا الثاني عالجنا فيه فكرتيْ مساواة اللغة العربية بالعالم ولا زمانيتها، وكيفية تفنيد طرابيشي لهما، أمّا بخصوص الفصل الثالث فقد جاء بعنوان " ردود طرابيشي على مزاعم الجابري "، وهي مختلف الأحكام التي أصدرها بحق اللغة العربية وقد قُسِّم إلى مبحثين، الأوّل تضمَّن دَعْوى لا تاريخيّة وحسيّة اللغة العربية ، أما الثّاني فقد تمّ التطرق فيه إلى ذهنيّة وموسيقيّة ولا حمليّة اللغة العربية ، أما عن الخاتمة فقد أمكن لنا أن نوجز أهم النتائج المتوصّل إليها من خلال هذا البحث .

ولمّا كان الموضوع هو الذي يُحدّد المنهج، فقد اقْتضى ذلك الإعتماد على المنهج التحليلي من خلال الوقوف على نصوص الجابري وطرابيشي، وتحليل مضامينها والتّعليق عليها، وكذلك المنهج التاريخي .

وقد هَدفتُ من خلالِ هذا البحث إلى :

* الإطِّلاع على مختلف مشكلات اللغة العربية، وإدراك مدى أهمّيتها في تشكيل الفكر.

* محاولة ضبط العلاقة بين اللّغة والفكر، وذلك داخل الثقافة العربية الإسلامية.

وأخيرًا فقد واجهت بعض الصعوبات في إعداد هذا البحث، أبرزها تمثل في صعوبة الحصول على بعض المؤلفات المعتمدة من قبل الجابري وكذلك طرابيشي، وخاصة كتاب اللغة والمعرفة لآدم شاف Adam Schaff ، وكذلك بعض العناوين في ما تعلّق بحقلِ اللسانيات .

الفصل الأول : مدخل مفاهيمي وتأصيلي لإشكالية علاقة اللغة بالعقل العربي

المبحث الأول : بحث في المفاهيم

المبحث الثاني: التأصيل النقدي لإشكالية علاقة اللغة بالعقل العربي

المبحث الأول : بحث في المفاهيم .

مـن الضَّـروري وقبـل الخـوض فـي غمـار أيِّ بحـث، وضـع تعريفـات محـدَّدة لأبـرز وأهـمِّ المصطلحات التي يرتكزُ عليها موضوعُ البحثِ، وأهمُّ المصطلحات الواردة في هذا البحث هي : اللغة، العقل، التّراث .

المطلب الأول : مفهوم اللغة.

1-لغة :

جاء في لسان العرب اللغة: " اللَّسْنُ وهي فعْلَة منْ لَغَوَتْ أيْ تَكَلَّمَتْ، أصلها لَغْوَة... وقيل أصلها لَغْي أو لَغْو، وفي المُحْكم الجَمْع لُغَاتْ ولُغُونْ ... وحَدُّها أنَّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغْراضهم "[1].

أمّا في معجم مقاييس اللغة لابن فارس فَقِيل : " لغِيَ بِالأَمْرِ، إِذَا لَهِجَ بِهِ، وَيُقَالُ إِنَّ اشْتِقَاقَ اللُّغَةِ مِنْهُ، أَيْ يَلْهَجُ صَاحِبُهَا بِهَا "[2].

ومن خلال ما قد تمَّ عرضه من تعريفات لغوية للفظ اللغة في اللغة العربية فيمكن القول أنّ اللغة ينحصر معناها في اللَّسْنِ واللَّهْجِ والكَلاَم .

[1] - إبن منظور، لسان العرب، ج13، دار صادر، بيروت ط3، 1414 ه ، ص 144.
[2] - إبن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، 1979م، ص256.

2-إصطلاحا :

جاء في " التَّعريفات " للجرجاني: " أنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1]، وهو نفس ما ذهب إليه "ابن جني"* في الخصائص أيضا، وهو ما قد نعتبره أدقُّ تعريف قد جمع عديد الخصائص للغة أهمُّها [2]:

- صوْتِيّة اللغة : فاللغة أوَّل ما أُعتبرت أصوات، إذ أنّ الصوت بمثابة اللَبِنة الأولى في البناء اللغوي والذي يحظى بالإهتمام الكبير قديما وحديثا .

- تعبيريّة اللغة : لجوهرية الدّور الذي تقوم به، ألا وهو التعبير عن مختلف الأفكار .

- إجتماعيّة اللغة: وذلك لكون اللغة لا تنشأ إلّا في المجتمع، حتى أن الكلام قد يختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية في نفس المجتمع، وفي نفس العصر أيضا .

- عُرفِيّة اللغة : من خلال النظام المتعارف عليه إجتماعيّا بعيدا عن أيِّ منطقٍ عقلي.

أما إبراهيم مدكور في معجمه الفلسفي فيعتبرها " كل وسيلة لتبادل المشاعر والأفكار كالإشارات والأصوات والألفاظ "[3]، بهذا المعنى يمكن القول أن اللغة قد تكون إمّا طبيعيّة، وذلك من خلال حركات الجسم والأصوات مثلا، ووضعيّة متمثلة في مختلف الرموز والإشارات والألفاظ المتّفق عليها للتعبير عن المشاعر والأفكار.

---

[1] - الجرجاني، التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة ، د ط ، د ت، ص161.

*) إبن جني : هو أبو الفتح عثمان الموصلي البغدادي من المؤلفين المجيدين في علوم العربية، وبخاصة كتابه الخصائص الذي تتقاطع جل موضوعات مع موضوعات فقه اللغة وهو صاحب المؤلفات الجليلة والآراء القيمة. (مشتاق عباس مَعْن، المعجم المفصل في فقه اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م، ص 31.)

[2]- عبد الغفار حامد هلال ، علم اللغة بين القديم والحديث ، مطبعة الجبلاوي ، ط2، 1986م، ص7.

[3] - إبراهيم مدكور ، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ، د ط ،1983 م، ص162.

أمّا بن خلدون فقد عرّفها بقوله: "واعلمْ أن اللّغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده، و تلك العبارة فعل لسانيٌّ ناشئٌ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بدَّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل، و هو اللّسان، وهو في كل أمّة بحسب اصطلاحهم"[1]، نلاحظ من خلال هذا التعريف أنّه قد أعطى للّغة ذلك الدّور الوظيفي ، وذلك في قوله "وهي عبارة المتكلّم عن مقصوده "، إذن فالوظيفة الأساسية للّغة هنا هي إقامة التّواصل، أمّا عبارته " وهو في كل أمّة بحسب اصطلاحهم" فيمكن إرجاعه إلى معرفة ابن خلدون الكبيرة بعلم الاجتماع وإسهاماته الرائدة فيه .

بينما الفيلسوف أندري لالاند André Lalande فيرى في معجمه الفلسفي أن اللغة بمعناها الواسع " هي كلُّ نظامٍ من الرموز والإشارات يصلح أن يكون وسيلةً للتواصلِ" [2]، وهو نفس ما يذهب إليه إدوارد سابير* Edward sapir في اعتبار اللغة: "وسيلةً للتواصلِ الإنساني تحديدًا ....تهدف لتوصيل الأفكار والعواطف والرغبات بواسطة نسق من الرموز"[3]، وما يمكن أن يلاحظ هنا على لالاند وسابير إتّفاقهما على سمة الآداتيَّة التي تجعل من اللغة وسيلة بالدرجة الأولى، وهو ما يمكن اعتباره في الأخير تحقيقا للإتّصال والتّواصل الإجتماعيّين .

[1] - ابن خلدون ،المقدمة ، تحقيق عبد السلام الشدادي ، خزانة ابن خلدون بين الفنون والعلوم والأدب ، الدار البيضاء ، ط1، 2005م ،ص 237.

[2]- أندري لالاند ، معجم الفلسفة ، تعريب خليل احمد خليل ، تعهد وإشراف أحمد عويدات، منشورات عويدات ، بيروت – باريس، ط2 ،2001م، ص 721.

*) إدوارد سابير Edward sapir: (1884–1939)عالم إنسان ولساني أمريكي من أبرز المساهمين في تطور علم اللسانيات في بداياته ،درس التأثير المتبادل بين اللغة و الثقافة ،إهتم بالعلاقة بين الاختلافات اللغوية من جهة والاختلافات في التصور الشخصي للعالم من جهة أخرى.(جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ،دار الطليعة للنشر والتوزيع ، بيروت، ط3، 2006م، ص 122.).

[3] - بشير خليفي، الفلسفة وقضايا اللغة " قراءة في التصور التحليلي " ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م، ص30.نقلا عن إدوارد سابير.

وتعرِّفها جوليا كريستيفا* Julia kristeva بأنّها ذاك المسار التواصلي للخطاب الجامع بين مرسل ومستقبل[1]، في حين يرى آدم شاف Adam Schaff ** أن اللغة تعني أيضا "إنتاج متّسِق لأنواع الرموز والدلالات المؤدِّية لوظيفةٍ حقيقيةٍ في كل خطاب إنساني"[2]، إذن بهذا المعنى يمكن اعتبارها خاصيّة إنسانيّة تساهم في إحداث التواصل الجنسي البشري، بواسطة مجموعة من الرموز المعبِّرة على ذلك .

ظهر فرديناند دوسوسير*** Ferdinand de Saussure بشكلٍ مختلف في تعريفه للّغة، فقد ميَّز بينها وبين اللّسان البشري، وذلك لكونها جزءًا من اللّسان، فهي: " نتاج إجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضّروريّة التي تبنّاها مجتمعٌ ما ليساعد أفراده لممارسة هذه الملكة"[3]، ويظهر لنا جليّا تأكيد دوسوسير على جوهريّة اللغة بالرغم من أنّها جزء محدد من اللسان، فالأخير متعدد الجوانب مقارنة باللغة التي اعتبرها بمثابة نتاج و تقاليد ضرورية تساعد على ممارسة ملكة اللسان، لكن إذا سلَّمنا بهذا المعطى فكيف يمكن أن نتصور بأن اللغة شيء مكتسب مع أنه جزء جوهري في نفس الوقت في مقابل ملكة اللسان الطبيعية ؟

*) جوليا كرستيفا Julia Kristeva : ولدت عام 1941 أدبية وعالمة لسانيات ومحللة نفسية ونسوية فرنسية ، لها عديد الأعمال من كتب ومقالات تعالج فيها التناص والسميائية والتهميش في مجال اللسانيات .

[1] - بشير خليفي، الفلسفة وقضايا اللغة، مرجع سابق ، ص31.

**) آدم شاف Adam Schaff : ولد عام 1933فيلسوف وعالم اجتماع بولوني معاصر إنتمى رسميا إلى الايدولوجيا الماركسية من القلة القلائل التي أفلحت في تطوير فلسفة ماركسية ، أسهم في تطوير النظرية الموضوعية من خلال التأكيد على دور العامل الذاتي . من أهم أعماله : الماركسية والوجودية، اللغة والمعرفة ، الماركسية والفرد ، الطابع الموضوعي لقوانين التاريخ .(أنظر جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص 387.)

[2] - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

***) فيرديناند دوسوسير Ferdinand Desaussure : (1857-1913) عالم لغوي سويسري يعتبر بمثابة الأب للمدرسة البنيوية في علم اللسانيات ، فيم عده الكثير مؤسس علم اللغة الحديث ، اتجه لدراسة اللغة دراسة وصفية باعتبارها ظاهرة اجتماعية من أهم مؤلفاته " علم اللغة العام . (فيرديناند دوسوسير، علم اللغة العام ، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي مالك يوسف المطلبي ، دار آفاق عربية ، بغداد ،ط3، ص6.)

[3] - المرجع نفسه، ص 27.

وعلى هذا الأساس وبعد ما سبق ذكره، فإنّ اللغة بالمفهوم المُوسّع نظام عرفي مركب ومعقَّد في آنٍ واحد، إذْ يمكن اعتبارها بمثابة قوام للحياة وعمادها الأوَّل وذلك لأهميّتها داخل المجتمع، إذْ تظهر هذه الأهميّة من خلال علاقات و تأثيرات اللّغة المختلفة، وأبرزها علاقة اللغة بالفكر، وهو موضوع بحثنا هذا وذلك داخل الثقافة العربية .

المطلب الثاني : مفهوم العقل

1-لغة :

جاء في لسان العرب : "العقْل أي الحَجْرُ و النّهيُ ضدّ الحُمْقِ والجَمْع عُقُول"[1] ، كما قال إبن الأنباري : "رجل عاقل وهو الجامع لأمره ورأيه مأخوذ من عُقِلَتْ البَعير أَيْ جُمِعت قَوائِمه، وقيل العاقل الذي يَحْبس نفسه ويردّها عن هَواهَا" [2].

وقد ورد في مقاييسِ اللغة لابن فارس قول الخليل بن أحمد الفراهيدي* : العقل نَقيضُ الجَهْلِ، يقال عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلاً إذا عرف ما كان يجهله من قبل، أو انْزَجَر مما كان يفعله، وجمْعه عُقُول، ورجل عَقُولٌ إذا كان حَسَنَ الفَهْمِ وافِر العَقْل [3] ، ويقول إبن فارس: عَقْل بمعنى الحَبْس ، ومن ذلك العقل، وهو الحَابِس بمعنى الحبْس عن ذَمِيم القَوْل والفِعْل [4].

[1] - ابن منظور ، لسان العرب، مرجع سابق ، ص 458.

[2] - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

*) الخليل بن أحمد الفراهيدي : هو الخليل بن احمد الفراهيدي له فضل تأسيس الكثير من علوم العربية كالعروض وتنظيم المقولات التأليفية كطريقته في تنظيم معجم العين يعد من اكبر علماء فقه اللغة ومحددي مفرداتها الفتية بنحو التلميح لا التصريح، من مؤلفاته كتاب النغم ، كتاب العروض ، كتاب الشواهد، كتاب الإيقاع ، كتاب معاني الحروف . (أنظر مشتاق عباس مَعْن، المعجم المفصل في فقه اللغة، مرجع سابق، ص87.)

1- ابن فارس ، مقاييس اللغة، مرجع سابق ، ص 69.

[4] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

ومن خلال تتبع معاني لفظ عقل في اللغة العربية، تبين أنه يدور في فلك واحد وهو : الحَبْسُ والحجْرُ والنّهْيُ .

وفي التّنزيل العزيز وفقا لهذا المعنى في قوله تعالى :﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [1]، أي أفلا تفقهون وتفهمون قُبْحَ ما تأتون من معصيتكم لربكم التي تأمرون الناس بخلافها، وتنهونهم عن ركوبها وأنتم راكبوها.

2-إصطلاحا :

يُطلق لفظ العقل على أسمى صور العمليات الذهنية بعامة، وعلى البرهنة والاستدلال بخاصة ...ويراد به أيضا المبادئ اليقينية التي يلتقي عندها العقلاء جميعا، وهي مبدأ الهوية ومبدأ عدم التناقض ومبدأ العلية [2]، من خلال هذا التعريف يمكن القول أن العقل بوجه عام ما يميز به الحق من الباطل، والصواب من الخطأ.

أمّا لالاند فيرى أن العقل بوصفه ملكة يمكن أن يُفهم منهُ :[3]

- ملكة الاستدلال نظريّا بالعقل ملكة تركيب المفاهيم والقضايا والعبارات والمقترحات، يكاد يكون معنى العقل هنا و كأنَّه خاص بالإنسان .

- منظومة مبادئ قبلية لا تتوقف حقيقتها على التجربة يمكن صوغها منطقيا ونحن نعرفها معرفة عقلية .

[1] - سورة البقرة ، الآية 44.
[2] - إبراهيم مدكور،المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص120.
[3] - أندري لالاند، معجم الفلسفة، مرجع سابق، ص 1166 .

يسْتحضِر جميل صليبا تعريفات بعض الفلاسفة للعقل، إذْ يراه البعض بأنّه قوّة تجريد تنتزع الصّور من المادة، وتُدرك المعاني الكليّة كالجوهر والعرض والعِلَّة والمَعْلول والغاية والوسيلة ...الخ وفي تمييزه بين العقل والفكرِ اعتبَر العقل مجموع المبادئ والمعاني الكلية التي تنظم المعرفة، أمّا الفكر حركة النّفس في المعقولات من المطالب إلى المبادئ والعكس صحيح [1].

ويعتبر أركون أن مفهوم العقل له تاريخ ، فعقل الحسن البصري مثلا يختلف عن عقل ابن خلدون، وكذلك عقل الأخير ليس كعقل محمد عبده ولا كعقل طه حسين إلى أن نصل إلى العقل الذي نستخدمه نحن اليوم، إذن " فالعقل ليس شيئا مجردا قابعا في الهواء وإنما هو شيء محسوس و مُؤطَّر بشكل جيد "[2]، نفهم من ذلك أن للعقل تاريخيّة أيضا، وكل واحد من هذه العقول المذكورة مرتبط بالبيئة والمجتمع والحالة التطوريّة للأنظمة الثقافية والمعرفيّة السائِدة في زمن كل مفكر.

أمّا محمد عابد الجابري ومن خلال مشروعه نقد العقل العربي يَذْكر بأنّه يعتمد في تحديده لمفهوم العقل على نظرية العقل المكوِّن و العقل المكوَّن، وهي نظرية حديثة تعود للفيلسوف الفرنسي أندري لالاند في كتابه "العقل والمعايير"، إذ ميّز لالاند بينهما " فالعقل المكوِّن أو ما سمَّاه بالفاعِل يُقصد به النشاط الذهني الذي يقوم به الفكر حين البحث والدراسة، والذي يصوغ المفاهيم ويقرر المبادئ، أمّا العقل المكوَّن أو السائد فهو مجموع المبادئ والقواعد التي نعتمدها

[1] - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، د ط ،1982م ، ص87.
[2] - محمد أركون ، الإسلام .أوربا .الغرب " رهانات المعرفة وإرادات الهيمنة ، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط2، 2001م، ص190.

في استدلالاتنا " [1]، ومنه فإن تاريخية العقل أو حركيته هو ما يحتاجه الجابري بالفعل في مشروعه النقدي، لأنه حينها يمكن النظر إلى العقل العربي بوصفه عقلا يُنشِئُ ويصوغُ العقل السائد في فترة تاريخيَّة ما .

من خلال ما تقدَّم يظهر لنا أن مفهوم العقل كما قدَّمه الجابري و أركون مختلف تماما عن تلك المفاهيم السائدة في الفلسفة الكلاسيكية، تجاوزًا منهم باتّجاه الفلسفة الغربية المعاصرة عامة والفرنسية خصوصا يستقيان منها مفهومهما للعقل .

المطلب الثالث : مفهوم التراث

1-لغة :

كلمة تُراث مشتقّة من الفعل "وَرَثَ" الذي يعني آل إليَّ من طريق أحد رحل من قبل، فجيء بوزن افْتَعَل من "ورث" فأصبحت الكلمة " أوْتَرَثَ " ثم أُدغِمت الواو في التَّاء فصارت " إتَّرَثَ "ثم أُشتقَّ منها " تَرَثَ " ثم" تُرَاث"[2]، أيضا في اللغة تعني الإرث والميراث وهي تدل على التقاليد والأمجاد القوميّة والشواهد الحضارية والثقافية الموروثة عن الأجداد، فنقول مثلا : تراث بلد أو تراث شعب[3].

ممَّا سبق يظهر لنا جليًّا أنّ لفظ التراث لغويًّا يشير إلى الماضي، وما يحمله من شواهد سواءً كانت ماديّة أو معنويّة، لِتُشكّل في الأخير إرثًا يمكن أن يرتبط بالماضي.

[1] - أندري لالاند ، العقل والمعايير، ترجمة نظمي لوقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، ص11.
[2] - خالد فهمي و أحمد محمود، مدخل إلى التراث العربي الإسلامي، مركز تراث للبحوث والدراسات، مصر، ط1، 2014م، ص20.
[3] - أنطوان نعمة وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2001م، ص 121.

2-إصطلاحا :

يقول عبد السّلام هارون : " إنّ التراث هو ميراثنا وما ورثناه من علماء الأمة في كافة مجالات علومها "[1]، بهذا المعنى يكون مفهوم التراث خاص بالموروث الفكري المكتوب لعلماء رحلوا ، تجدر الإشارة هنا فقط إلى أن هذا المصطلح سواء كان لغويا أم اصطلاحيا يمكن أن يطلق عليه المصطلح الرحال كمصطلح السنة مثلا لظهوره بمعاني مختلفة ذلك أنه يظهر مثلا عند المحققين بمعنى ويظهر عند علماء فقه اللغة بمعنى مختلف .

أما حسن حنفي فيعتبر التراث بأنّه: " كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة"[2]، في هذه الحالة يمكنُ اعْتبار التراث قضية موروث، وفي نفس الوقت معطى حاضر على عديد المستويات ، إذ أنّ حنفي يصف التّراث بأنّه " نقطة البداية كمسؤولية ثقافية قومية ليأخذ التجديد مهمّة تفسير التراث طبقا لحاجات العصر" [3]، ولذلك فإنّ القديم دوما يسبق الجديد، والأصالة أساس المعاصرة، والوسيلة تؤدّي إلى الغاية، فالتّراث هو الوسيلة هنا والتجديد هو الغاية.

وبدوره يرى طه عبد الرحمان بأنّ التراث ليس مجرّد تركة، إنّه يلازمنا تاريخيا وواقعيا، أي ليس ماضيا وفقط بل ماضي يعيش في الحاضر[4]، و بناء على ذلك فلا يُمكن الحديث عن انفصال بين

[1] - خالد فهمي وأحمد محمود، مدخل إلى التراث العربي الاسلامي، مرجع سابق ، ص21.
[2] - حسن حنفي ، التجديد والتراث " موقفنا من التراث القديم " ، المؤسسة الجامعية للدرسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط4، 1992م، ص13.
[3] - حسن حنفي، مرجع سابق، ص14.
[4] - طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط2،د ت ،ص19.

ماضي أمّة من الأمم وحاضرها، لأنّ الماضي مستبطن في تكوينها الداخلي، ولا يمكن القفز عليه، وإلّا فقدت هويّتها وشخصيّتها، ولذلك كما نرى كَثُرتِ الأعْمال المشتغلة بالتّراث دراسةً وتقويماً.

كما كانت لأركون نظرة جديدة في تناوله للتراث باعتماد أسلوب علمي نقدا ودراسةً وقد يتجسد التّراث عند أركون في مرحلتين وهما : مرحلة الفكر المنتج للتراث ومرحلة الفكر المستغل للتراث[1]، إذن فالانطلاقة كما يراها ناقد العقل الإسلامي ستكون من مشاكل الحاضر لتحدّد نوعين من الاهتمامات، اهتمام يدعوه العرب بالتراث، واهتمام يدعى بالحداثة.

يمكن الإشارة إلى أنّ لفظ التراث لم يرد في الخطاب العربي الحديث كما بيّن الجابري، إنّما هو لفظ ظهر حضوره بعد اليقظة العربية التي عرفتها الأقطار العربية، ولهذا يتخذ مفهوم التراث عنده معنى " الموروث الثقافي والفكري والديني والفني [2]، إذ يستعمل الجابري اللفظ استعمالا نهضويا ما دام يعتبره من المفاهيم الموظفة في الخطاب العربي النهضوي، سواء كان الحديث أم المعاصر.

إذن يُنظر إلى التراث على أنّه الماضي، وما يحمله بل وكثيرا ما يتحول إلى التّاريخ الفكري والمعرفي والقيمي، الذي يعيش فينا ويوجه سلوكنا، لذلك عندما يتكلم المفكرون والباحثون عن التراث فهم يعنون به " ذلك الجانب الأصيل والمتحرّك فينا إنّه يعبِّر عن شخصيّة الأمّة التي تنفرد بها عن غيرها، لأنّه حصيلة ضخمة من تجارب السَّلف وممارساتهم على المستوى الفكري والدّيني والدّنيوي" [3] .

[1] - محمد أركون ، تاريخية الفكر الإسلامي، ترجمة هاشم صالح ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط2، 1996،ص20

[2] - محمد عابد الجابري، التراث والحداثة -دراسات ومناقشات، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1 ،1991 م ، ص23.

[3] - عبد الحليم بلواهم ، قراءة في التراث العربي الإسلامي" حسين مروة نموذجا"، إشراف إسماعيل زروخي، مذكرة ماجستير، غير منشورة ، جامعة منتوري قسنطينة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم الفلسفة ، 2007/2006، ص10.

المبحث الثاني : التأصيل النقدي لإشكالية اللغة العربية .

كان محمد عابد الجابري* (1936-2010م) أحد قامات الفكر في العالم العربي منشغلا بالبحث عن أسباب تخلف وانحطاط الحضارة العربية الإسلامية، التي لطالما ملأت العالم بمنجزاتها وثمارها الفكريّة والفلسفيّة ، وفي محاولةٍ منه لتفسير واستخراج الأسباب الكامنة لذلك الإنحطاط بدأ المفكر تنقيبا ابستمولوجيا في التراث العربي الإسلامي، ولما كان العقل العربي هو العقل الذي تكوَّن وتشكَّل داخل الثقافة العربية، في نفس الوقت هو أيضا من عَمِل على إنتاجها وإعادة بنائها[1] ، فإن عملية النقد المطلوبة كما يؤكد الجابري تتطلب التحرر من سجن القراءات السائدة، واستئناف النظر في معطيات الثقافة العربية الإسلامية بمختلف فروعها دون التقيد بوجهات النظر السائدة .

كان من أهمِّ ما تعرَّض له الجابري موضوع العلاقة بين اللّغة والفكر، وما إذا كانت اللّغة العربية في حدِّ ذاتها عاملاً من عوامل الإنحطاط والاضمحلال التدريجي، الذي أصاب الحضارة المثمرة ، ففيمَ تمثّلت الإعتبارات التي جعلت الجابري يتوجّه للّغة في دراسته لمكوِّنات العقل العربي؟

*) محمد عابد الجابري : هو مفكر مغربي ولد بمدينة فجيج جنوب شرق المغرب سنة 1936 م تحصل في في عام 1956م على شهادته الأولى في الترجمة وكذلك شهادة الباكالوريا تواليا، وفي 1997م عمل كرئيس تحرير لمجلة فكر ،إهتم بقضايا الفكر العربي المعاصر وقد ترك الجابري عديد الأعمال أبرزها مشروعه الفكري " نقد العقل العربي " والذي احتوى على أربعة كتب هي : تكوين العقل العربي، بنية العقل العربي، العقل السياسي العربي، العقل الاخلاقي العربي ، مع مؤلفات أخرى منها التراث والحداثة ،حوار المشرق والمغرب مع حسن حنفي ، تسلم العديد من الجوائز منها جائزة بغداد للثقافة العربية عام 1988 م والجائزة المغاربية للثقافة عام 1999، و قد توفي الجابري سنة 2010. (محمد عابد الجابري ، حفريات في الذاكرة من بعيد، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1997، ص6.)

[1] – محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان، ط10، 2009م، ص 15.

المطلب الأول : تقديسُ العَربي لِلُغَتِهِ

يُقدِّم الجابري أولى المعطيات التي دفعته لإعطاء الأولوية للغة العربية في دراسة مكونات "العقل العربي" *، وتمثلت في تقديس العربي للغته إذ يقول: "... فالعربي يحب لغته إلى درجة التقديس، وهو يعتبر السلطة التي لها عليه تعبيرا ليس فقط عن قوتها بل عن قوته هو أيضا" [1]، وكأن الجابري يريد القول بأن حبّ العربي للغته قد أوقعه في عقدة مرضية تجعله يرى فقط بأفضلية لغته مقارنة بباقي اللغات، وهذا ما يؤدي في الأخير إلى الانتقاص من قيمة باقي اللغات.

من المؤكّد أن العربي فعلاً يحبّ لغته شأنه شأن غيره من الناطقين بلغاتهم، من حيث اعتزازهم بها ، وحرصهم على الحديث بها أيضا والكتابة بحروفها، لكن ما يختلف فيه العربي عن غيره هو إيمانه بفكرة مفادها أن السلطة التي تفرضها اللغة عليه ترجع بالأساس لقوته هو أيضا وليس لعنصر قوة يكمن في اللغة وحدها، ذلك أن العربي " هو الوحيد الذي يستطيع الاستجابة لهذه اللغة والارتفاع بها إلى مستوى التعبير البياني الرّفيع التي تتميّز به... فالعربي حيوان فصيح، فبالفصاحة وليس بمجرد العقل تتحدد ماهيته ... "[2] .

إن الجابري هنا يقدم وصفا للعربي وذلك من خلال سمة الإستجابة التي يمتلكها العربي للغته، فقد اعتبره حيوانا فصيحا، إذن فبالفصاحة فقط تتحدد ماهيته، وفي هذا إثارة واضحة لإشكالية

*) ينظر الجابري إلى العقل العربي بوصفه ذلك الفكر الذي اعتبر أداة للإنتاج النظري والتي صنعتها ثقافة معينة لها خصوصيتها هي الثقافة العربية بالذات، الثقافة التي تحمل معها تاريخ العرب الحضاري العام وتعكس واقعهم وتعبر عن طموحاتهم المستقبلية كما تعبر في نفس الوقت عن عوائق تقدمهم وأسباب تخلفهم الراهن . (محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص14 .

[1] – المرجع نفسه، ص 75.

[2] – المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

العروبة والعجم ، وهو ما يُؤخذ على الجابري من عديد المفكرين، أبرزهم محمود خالص وجورج طرابيشي*، ومنه فتعريف العربي قام على عامل الفصاحة، وفي هذا إشارة أيضا إلى مدى التّفارق بل التّناف الذي أقامه الجابري مابين الفصاحة أي اللغة من جهة، والعقل من جهة أخرى، ما يدفعنا لاستحضار ذلك التقابل الذي يلح عليه الجابري بين العقل العربي والعقل اليوناني رافعا من شأن الثاني .

وفي هذا يتساءل طرابيشي: هل صحيح أن العلاقة بين اللغة والفكر هي صيغة عربية ؟ وهل يصح القول بأن قاعدة عروبة العرب و عجمة الأعاجم هي علامة فارقة للثقافة العربية ؟[1]، بالعودة التاريخية إلى ثقافة اليونان القديمة يظهر لنا أن تاريخ هذه الحضارة قد تمحور حول جدلية اليوناني والبربري فالأخير هو" النقيض الدائم لليوناني" [2]، مشيراً إلى ذلك أرسطو في مؤلفه السياسة والأمثلة على ذلك كثيرة .

*) جورج طرابيشي : مفكر وكاتب ومترجم عربي سوري من مواليد حلب عام 1939م ، يحمل الإجازة باللغة العربية من جامعة دمشق عمل رئيسا للتحرير ل"مجلة دراسات عربية "، أقام فترة في لبنان ولكنه غادرها بسبب الحرب الأهلية اللبنانية الى فرنسا التي يقين إلى الآن متفرغا للكتابة والتأليف ، ترجم لفرويد وهيجل وسارتر، جارودي، سيمون دي بفوار بلغت ترجماته ما يزيد عن مئتي كتاب، له مؤلفات هامة في الماركسية وفي النظرية القومية وفي النقد الأدبي للرواية والقصة العربية خصوصا بتطبيق مناهج التحليل النفسي عليها إضافة إلى معجم الفلاسفة ومشروعه الضخم الذي عمل عليه أكثر من خمسة عشر سنة " نقد نقد العقل العربي " في نقد مشروع محمد عابد الجابري ،إذ يقدم فيه طرابيشي قراءة ومراجعة للتراث اليوناني والأوربي الفلسفي والتراث العربي الإسلامي ليس الفلسفي فحسب بل الكلامي والفقهي واللغوي والبياني " .

أهم ما يذكر في مساره الفكري هو انتقاله عبر عدة محطات أهمها من الفكر الثوري والماركسية إلى الليبيرالية ، ومن أعماله : هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية ، نظرية العقل العربي ، وحدة العقل العربي ، إشكاليات العقل العربي ، مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة ، من النهضة إلى الردة ،الماركسية و الايدولوجيا ،سارتر والماركسية ، النظرية القومية والدولة القطرية ....وغيرها . " جورج طرابيشي، مروان رضوان، مقال نشر على الرابطwww.discover-syria.com/news/5817 :

[1] - جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي " نقد نقد العقل العربي "، دار الساقي ، بيروت ، ط1، 1998، ص74.

[2] - وليد محمود خالص، معضلة اللغة العربية بين الجابري وطرابيشي " دراسة نقدية تحليلية لمشكلات العربية في الفكر العربي الحديث ، تقديم جورج طرابيشي و عبد الواحد لؤلؤة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2012م ، ص 106.

يَرجع هذا التّقديس أيضا إلى كوْن اللّغة مع الدِّين هي من أبرز مساهمات العرب في الحضارة العربيّة الإسلامية، وبقاء الدّين عربيّا فكتابه عربي مبين إذ لا يمكن نقله لأي لغة أخرى دون المسَاس به فالعربية جزء من ماهيته ، ومما يؤكِّد هذا ما أتى به محمد عبد الشافي القوصي في مؤلّفه "عبقرية اللغة العربية " إذ يقول: " وممّا يؤكّد هذه الحقيقة المُهمّة أنّه عندما يُنقل القرآن إلى لغة أخرى غير العربية فإنّ المعاني لا تُستوفى كما هي مُستوفات باللغة العربية ، وأن البيان المعجز الذي تحدى به الإنس والجن قد يفقد كثيرا من خصائصه عن الترجمة ولا ينبغي لسائر اللّغات أن تأتي بمثله "[1].

يضيف الجابري قائلا: " إذا لاحظنا ذلك الدور البالغ الأهمية الذي تلعبه اللغة العربية في الدراسات و الأبحاث الإسلامية عقيدة وشريعة ...." [2]، وهذا ربما لما نلتمسه من بعض الخلافات الفقهية والكلامية الواقعة والتي ترجع أسبابها أساسا إلى تَميُّز اللغة بتنوع تراكيبها وما تشهده من فائض في الألفاظ ومن ثمَّ في المعنى .

إن عامِليْ القداسة والفصاحة قد أُعْتِبرا من أهمّ العوامل التي دفعت الجابري للتوجّه للغة العربية، مانحا في ذلك سمة الاستجابة لهذه اللغة من قبل العربي، وهو مايبقيه في حيزها دون أي سطوع له خارجها، ومنه فإن هذا التدليل بمكانة اللغة العربية سواءً تعلَّق بالقداسة أم بالفصاحة ربما قد يحتاج إلى إعادة نظر ، لأن اختيار نبي عربي لتبليغ الرسالة على لسانه، أمر لا يرتفع

[1] - محمد عبد الشافي القوصي ، عبقرية اللغة العربية ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو ، الرباط ، 2016م، ص78.
[2] - محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي ، مرجع سابق ، ص75.

إلى مستوى القداسة وكذلك بالنسبة للفصاحة، إذ أنَّ القدرة على الإبداع والتعبير المجازي هي خاصية إنسانية يمكن أن تتجلى في أي لسان .

المطلب الثاني : عمليّة جمع اللغة العربية وآثارها

ثمّة اعتبار آخر أمكن للجابري أن يبرر من خلاله سبب إعطائه الأولوية للغة في دراسة مكونات العقل العربي، وهو كما اعتبره معطى تكوينيّا مؤكدًا كما يقول: " أن الواقع التاريخي يؤكد بما لا مجال فيه للطّعن أنَّ أوّل عمل علمي منظّم مارسه العقل العربي هو جمع اللغة العربية ووضع قواعد لها " [1].

إن رُؤية الجابري في هكذا حالة ونقصد هنا عظمة الانجاز الذي تكفل به هذا العقل العربي والذي أنتج علم اللغة* وعلم النحو** أن يُتَّخذ نموذجا للأعمال العلمية الأخرى التي قامت من بعده، وبذلك فمِن المنتظر أن تصبح المنهجية التي اتّبعها اللغويّون والنحاة وكذلك المفاهيم المستخدمة، وكذلك الآليّات الذهنية المعتمدة " أصلا يعتمده مؤسسوا العلوم الإسلامية أو على الأقل يشتقون منه طريقة عملهم إن لم ينسجوها على منواله " [2] ، رغبةً من الجابري في إطْلاعِنا على مدى التأثير المتبادل في مراحل لاحقة فتصبح علوم الدين مثالاً ونموذجاً لعلوم اللغة .

[1] - محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي ، مرجع سابق ، ص 76.

*)علم اللغة : ويقصد به دراسة اللغة بصورة عامة واستخلاص قواعد تتعلق بأصولها وتراكيبها ودلالة ألفاظها مفردة ومركبة على أن تكون هذه الدراسة دراسة تحليلية مبنية على حاضر اللغة وواقعها . (علم اللّغة العام ، مرجع سابق، ص35، نقلا عن فؤاد ترزي دراسات لغوية .)

**) علم النحو : هو فرع من علم اللغة يدرس بنية الجملة وأنواعها أي يدرس نظم الكلام فهو يقوم على أساس المنطق. (المرجع نفسه ، ص47.)

[2] - محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص 76.

وإذا كانت الفلسفة هي بمثابة المعجزة لليوناني، فإنّ العربية وعلومها كما يصرّح الجابري هي معجزة العربي، حتى أنّ أبا حيان التوحيدي في مؤلَّفه" الإمتاع و المؤانسة " كما يُخبرنا القوصي قد خص العربي بالثناء وتكلم عن اللغة العربية واستعرض غيرها من اللّغات، فلم يجد في أيٍّ منها نصوعَ العربيةِ بمعنى الفرج التي في كلماتها والفضاء الذي نجده بين حروفها والمسافة التي بين مخارجها [1].

إنّ ذلك العمل العظيم الذي تكفّل به العقل العربي في عصر التدوين*، والذي كان على مستوى جمع اللغة العربية، كان أشبه بالمعجزة تأكيدا على تلك السرعة والدقة والضبط في الآليات المستخدمة، والتي تم بها الانتقال من لغة قائمة على الفطرة والطبع لغة أهل القبائل إلى لغة يمكن أن تكتسب بنفس الطرق التي يُكتسب بها العلم [2].

إذن فرؤية الجابري مكّنتْه من الحكم بأنّ النتيجة واحدة، وذلك سواء كان جمع اللغة العربية بهدف إنقاذ لغة القرآن من الانحلال والضّياع وخاصة بسبب تفشي اللحن آنذاك، أم كانت حاجة الكتاب الفرس بتعلُّم اللغة العربية للحفاظ على امتيازاتهم ومناصبهم، فكل هذا قد أدّى في نظرالجابري طبعا إلى تحويل اللغة العربية من لغة غير علميّة أي قابلة للتعلم بطرق علميّة إلى لغة علميّة تخضع لنفس النظام الذي يخضع له أيُّ موضوع علمي .

[1] - محمد عبد الشافي القوصي ، عبقرية اللغة العربية، مرجع سابق ، ص 73.

*) عصر التدوين :هو مفهوم ظهر مع الجابري إذ يعتبره بمثابة الإطار المرجعي للثقافة العربية الذي يشد إليه جميع فروع هذه الثقافة وينظم مختلف تموجاتها اللاحقة إلى يومنا هذا ويمثلها بصورة العصر الجاهلي وصدر الإسلام والقسم الأعظم من العصر الأموي إنما نسجتها خيوط منبعثة من عصر التدوين . (محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي ، مرجع سابق، ص62.)

[2] - المرجع نفسه، ص 80.

الفصل الثاني :رؤية طرابيشي لعلاقة اللّغة بالفكر – اللغة بالعالم – اللغة بالزمان.

المبحث الأول : جدلية اللّغة والفكر

المبحث الثاني : جدلية اللّغة بالعالم – اللّغة بالزمان .

المبحث الأول : تقويم طرابيشي لإشكالية العلاقة بين اللغة والفكر

المطلب الأول : من خلال هردر Herder (1744 –1803)

جاء في تكوين العقل العربي للجابري: "يُعدُّ المفكر الألماني هردر* من الروّاد الأوائل الذين انصرفوا...إلى محاولة ضبط العلاقة بين اللغة والفكر وتحديدها، إنّنا نرى معه أن اللّغة ليست أداة للفكر، بل هي القالب الذي يتشكّل فيه الفكر...حيث ربط بين خصائص اللغة، وخصائص الأمّة التي تتكلّمها، ذاهبا إلى القول بأنّ كل أمّة تتكلّم كما تفكّر و تفكّر كما تتكلّم "[1]، إنّ هذا النّص يُظهر لنا اللغة بسمة المطلقيَّة في تحديدها للفكر بدل العكس، وبهذا فعلاقة التأثير بين اللغة والفكر هنا واحديّة، تسير في اتجاه واحد من اللغة إلى العقل .

كما في كثير من المرات يتساءل طرابيشي هل رجع الجابري إلى الكتاب الفلاني الذي استشهد به؟ يتعلق الأمر هنا بكتاب اللغة والمعرفة للباحث آدم شاف، إذ يستبعد طرابيشي ذلك مؤكدا أنّ العودة إلى صفحات الإحالة يؤكّد خلوها من أقواله بل ربّما بتوظيفٍ دلالي معاكس[2] ، وعلى هذا الأساس فإن تأوّل الجابري للغة بكونها محدد مطلق للعقل قد يفقد صحته، ما يدفعنا إلى القول بإمكانية إعتبار الفكر كذلك محدد للغة في الوقت نفسه، ومن جانب آخر نراه قد ينسف معطى الجابري كلية كون آدم شاف كباقي الماركسيين لابدّ وأن يلتزم بفكرةِ الوجودِ الموضوعي للعالم، وبأنّ نظريّة المعرفة هي في الأخير إنعكاس لهذا العالم في الذّهن، وهذا ما يناقض الصورة التي

*) هردر يوهان غوتفريد Herder Johann Gottfried : (1744- 1803) فيلسوف وكاتب ألماني له مكانة مهمة في تاريخ الأدب الألماني ولد في مدينة موراغ ، درس في الفترة بين 1762-1764 الطب وعلوم الدين والفلسفة في جامعة كونيغسبيرغ حيث خضع هناك لتأثير كانط وهامان ، من خلال " محاولة في أصل اللغة "يعتبر هردر أن العقل البشري له القدرة على إقامة أي لغة من اللغات وهذا الإقرار بدور العقلانية ميزه تماما عن هامان بالإضافة إلى مؤلفات أخرى : شذرات حول الأدب الألماني الحديث ، فلسفة جديدة للتاريخ من اجل البشرية ، أفكار حول فلسفة التاريخ : فسر من خلاله التاريخ تفسيرا عقلانيا ، خطابات من اجل دعم الإنسانية ، العقل والحكم : عارض فيه نقد الحكم لكانط " يمثل ذروة الخصومة بينهما. (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص700).

[1] - محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي ، مرجع سابق ، ص76-77.

[2] - جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي، مصدر سابق ، ص95.

قدّمها الجابري عن آدم شاف، وهي المثاليّة التي أوقعه فيها والتي تعتبر اللغة هي المحدد لرؤية البشر لهذا العالم .

1-تأثير اللغة بين هردر وهامان:

إن استئناسْ الجابري بمقولة هردر عن تأثير اللغة المطلق يرفضها طرابيشي، كون شخصيّة هردر ليست علمية كما يوحي إلى ذلك الجابري، فهو أقرب للقس اللاهوتي[1]، فكتاباته الأولى لم ترقى إلى الكتابة الفلسفيّة أمّا اللاحقة فهي تؤكّدُ على العلاقةِ الجدليّة لا الواحديّة بين اللغة والعقل[2]. وهذا ما يقتضي البحث عن المصادر التي استقى منها هردر أفكاره في مراحله الأولى.

يُفتِّش طرابيشي عن المنبع الذي استقى منه هردر أفكاره فإذا به يقع على جورج هامان* (1730-1788) المناهض لنزعة التنوير في ألمانيا، والمؤسس لنفسه ولغيره مذهبا إيمانيّا صلبًا تفرّعت عنه معالم نظريّته في العلاقة بين الوجود واللغة والعقل[3]، وانطلاقا من هذا فمن المنتظر أن تمنح هذه النّزعة الإيمانيّة أولويّة إن لم نقل حتميّة و جبريّة، يمكن إن تُغيِّب دورَ العقلِ تمامًا في مقابل جوهرية اللغة في تحديده، وما قد تتركه من آثار على فكر هردر في مراحله الأولى .

إن قول هامان بأنّ:" اللغة تنسج العقل "[4]، هو ما دفع بالتّأكيد طرابيشي للتساؤل عن إمكانية أن يتحدد العقل باللغة إذا كان منسوج بها، وهو ما تذهب إليه فرضية العمل الأساسية للجابري،

[1] - جورج طرابيشي، إشكاليات العقل العربي، مصدر سابق ، ص99.

[2] - المصدر نفسه ، ص100.

*) جورج يوهان هامان hamann johann georg :(1730-1788) مفكر ديني وناقد أدبي ألماني يعتبر من اشد أنصار الإيمانية تطرفا قال بأن الإيمان الأعمى هو السبيل الوحيد إلى اليقين والخلاص وكان همه الأول محاولة التوفيق بين الفلسفة والنصرانية ، فقد ذم العقل وشيد بالوحي ، كان له تأثير كبير على هردر ، من أعماله : الجمالية في النواة ، صليبيات دارس نصوص ، النقد الماورائي لصفائيات العقل الخالص. (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص 692.)

[3] - جورج طرابيشي، إشكاليات العقل العربي، مصدر سابق ، ص99.

[4] - جورج طرابيشي، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق، ص693.

ومن هنا يظهر لنا جليّا أن جوهر الخلاف يتمثّل في كلمة تحديد التي أحلّها الجابري محل تأثير، ولكن بالرّجوع إلى هردر الفعلي، فإنّ أوّل ما يسترعي الانتباه في نظريّته عن المشروطيّة اللغويّة للعقل هو طابعها الجدلي ، وهذا ما يخالف تمامًا ما ذهب إليه الجابري، تلك الجبرية الأحادية التي تذهب في اتجاهٍ واحدٍ من اللغة إلى العقل إذ يقول هردر: " بمشروطيّة جدليّة وعضويّة فاعلة في الاتجاهين، من اللغة إلى العقل ومن العقل إلى اللغة "[1] .

عندما يقدم هردر تصويرا مجازيا جميلا فيقول:" اللغة هي قاعدة العقل ولكن القاعدة ليست كل التمثال"[2]، ومنه تصبح اللغة هنا كالعقل علامة حرية لا عبودية، وإن هذا الوصف لا يدع مجالا للشك في أن الجابري يكاد يقوّل هردر ما لم يقله كأن العقل أداة للغة، وتأكيدا على قراءة طرابيشي عموما، يذهب محمود خالص في هذا الشأن إلى وصف هذه النظرة المتوازنة عند هردر بأنّها لابُدّ وأن تكون فرعا من بنائِه الفكري والديني[3]، وذلك في إشارةٍ من خالص إلى تجاوز هردر للاعقلانية هامان باتجاه عقلانية كانط، مخضعا هذه النظرية للتحليل الموضوعي العقلاني .

2-اللغة عامل إتصال لا إنفصال :

إتّخذ هردر من اللغة بوصفها شرط الصيرورة الإنسانيّة للإنسان، جسرا يمده فوق التمايزات القوميّة، ليؤكد حسب طرابيشي على وحدة الإنسانية وقرابة اللغات جميعا في ما بينها [4]، ولا شك أن هردر هنا لم يتخذ من اللغة موضوعا للغنائية، بل مؤكدًا على تكامل اللغات في ما بينها، الأمر الذي يستوجب الكلام عن لغة بشرية واحدة، وبهذا فاختلاف اللغات ليس دليلا للانتقاص

[1] - عبد الوهاب جعفر، الفلسفة واللغة ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط3، 2008م، ص 143.
[2] - المرجع نفسه ، ص145.
[3] - محمود خالص ، معضلة اللغة العربية ، مرجع سابق، ص130.
[4] - جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي، مصدر سابق ، ص105.

من قيمة أيّ لغة ، وهذا ما يجعلنا نتفق مع طرابيشي في أنّه على الضد تماما من النّزعة الثقافيّة القوميّة التي تعتبر من اللغة معول تحفر به بين حدود الأمم و القوميّات، وهو ما يذهب إليه هردر، رغبة من طرابيشي توظيف رؤية هردر في مجالها الفعلي .

يذهب طرابيشي إلى أبعد من ذلك، وهو أنّ نظرة هردر هذه قد تبلورت بدافع من اعتبارات لاهوتيّة[1]، لكونها ربما تجعل من هردر يؤمن بأنّ كافة البشر هم خلائق لله، أي لا مجال لإقامة أية فروق بينهم، كما أن توظيف هردر لمصطلح المسار المتّصل بدل المسار الصّاعد[2]، هو بالتّأكيد حسب ما نراه يوحي إلى فكرة اتصالية الحضارات البشرية لا تصوُّر القطيعة بينها.

من الملاحظ حسب طرابيشي وعلى ضوء النّزعة التطوريّة لهردر[3]، والتي جعلته يقر بأنّ اللغة تملك نوع من القابلية لاغتناء متواصل من جيل لأخر، ومن كاتب لآخر، قد يكون ذلك طريق الترجمة، وهو ما جاء على لسان طرابيشي: " فاللغة في التحليل الأخير وطبقا لبعض استعاراته مادة مؤنثة بينما الكاتب عضو ذكورة..."[4]، إذن فإنّ قوميّة وأصالة اللّغة، لابدّ و أن تكون فقط دليل على الفطرة والبدائيّة مشكِّلَة جزر لغويّة معزولة، لكن مع تطوّر وتقدّم الحضارة تصبح تلك الجزر في أتمِّ الاتصال، وعلى هذا الأساس فإنّ اللغة ليست شرنقة أو دائرة مقفلة على نفسها ، بل هي مسام منفتحة على كل تلاقح بين الحضارات .

في ختامِ هذه المحطّة الهردرية، يمكن القول أنّ إثبات طرابيشي لأسبقيّة هامان في ريادة المباحث اللغوية، يُنظر له من جانب سعيه لقراءة النظرية في حقلها الدلالي الفعلي، بالإضافة

[1]- جورج طرابيشي، إشكاليات العقل العربي ، مصدر سابق، ص105.
[2] - محمود خالص ، معضلة اللغة العربية، مرجع سابق ، ص132.
[3]- جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي، مصدر سابق ، ص 103.
[4] - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

إلى أنّها لم تكن لتصحيح معلومات مغلوطة بقدر ما كانت أساسا تهدف ربّما إلى تقويم إشكالية مُهمّة مقلوبة وإعادة إيقافها على رأسها، ألا وهي إشكالية علاقة اللغة بالعقل – من اتجاه واحدي إلى طابع جدلي – مقترحًا في ذلك طرابيشي على الجابري بعدما اخطأ الأخير ضالته في شخص هردر الذي شرط الفكر باللغة كما شرط اللغة بالفكر، إتجاهًا كان بإمكانه – الجابري – أن يهتدي فيه إلى ضالّته ألا وهو يوهان فيختـه* fichte johann gottlleb إذ يقول طرابيشي " نقع لأول مرة في تاريخ الفكر على نظرية لغوية قوميّة تؤسس الفكر في تبعية تامّة للغة .....". [1]، في إشارة منه إلى مدى التّأثير الذي قد تمارسه الهُموم الإيديولوجية و القومية على نظريته اللغوية من الخلف .

المطلب الثاني : من خلال همبولت Humboldt (1767– 1835)

يحضر همبولت ** حُضورين في نصِّ الجابري، حضوُر أوّل من خلال آدم شاف: "إبتداء من هردر وولهلم فون همبولت تبنّت الدراسات اللغوية مرّات عديدة الأطروحة القائلة بأنّ منظومة لغوية ما...تؤثر في طريقة رؤية أهلها للعالم، وبالتالي في طريقة تفكيرهم ... " [2]، وحضور ضمني غير مباشر في قوله: " ما أكدته دراسات حديثة عديدة من كون اللغة – أي لغة –تحدِّد أو على الأقل تساهم مساهمة أساسيّة في تحديدِ نظرة الإنسان إلى الكون، وتصوّره له ككل

*) فيخنه يوهان غوتليب Fichte Johann Gottlleb : (1762-1814) فيلسوف ألماني من مؤسسي حركة الفلسفة المعروفة بالمثالية الألمانية، كان أسلوبه يحاكي أسلوب كانط شديد الصعوبة ، من أهم أعماله " محاولة في نقد الثورة ". (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة ، مرجع سابق، ص405.

[1] - جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي، مصدر سابق، ص 110).

**) همبولت فلهلم فون Humboldt wilhelm von: (1767- 1833) فيلسوف وناقد أدبي وسياسي ألماني وواحد من رواد المثالية الألمانية، ولد ببرلين شقيق عالم الطبيعيات فريدريش هاينزيح فون همبولت ، درس الفلسفة والحقوق في برلين وإبينا لعب دورا هاما في مؤتمر فيينا ، يعتبر مؤلفه " في بنية اللغة " فلسفة حقيقية للغة وقد فرض نفسه من خلال مؤلف " رسالة في أشكال القواعد اللغوية عامة وفي اللغة الصينية خاصة" كواحد من مبتكري الألسنية الحديثة بالإضافة إلى مؤلفات أخرى منها : مهمة المؤرخ ، محاولات جمالية ، كان همبولت من المحللين الأوائل للثقافة بالمعنى الذي يعطى للكلمة اليوم أنثروبولوجيا . (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص 718).

[2] - محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي ، مرجع سابق، ص77.

وكأجزاء"[1]، من النّصين السّابقين يتبيّن أنّه لا إدراك للعالم بدون لغة، فاللّغة إحدى العوامل التي تحدد تصوّر العالم لدى كل أفراد الجماعة التي تتحدث تلك اللّغة، ومنه فإن أيَّ لغة مختلفة تحدِّد تصوّرات للعالم مختلفة كذلك ، إذن فالنّمط المميّز لكل لغة هو تصوّر العالم الخاص بتلك اللغة .

وفي مراجعته لهذا النّص يتساءل طرابيشي عن مدى إمكانية توظيف همبولت ونظريته في اللغة تُساوي رؤية العالم في تقديم أساس أو تبرير نظري للجبريّة اللغوية الجابرية [2]، والتي تريد طبعا حبس العقل ورؤيته للعالم في سجن اللغة، بمعنى البحث عن سند يسمح للجابري بتوظيف نظرية همبولت اللغوية في تأكيد وإثبات فرضيته القائمة على الجبرية اللغوية .

إذ يذهب طرابيشي– بعد ما رفض آدم شاف توظيف كلمة تحديد ليضع مكانها كلمة تأثير، وكما لم يشرط هردر العقل باللغة إلا بقدر ما يشرطها به كما أُشِيرَ سابقا – إلى أن همبولت يرى بأنّ اللّغة " لا يمكن أن تشكّل للإنسان حدًّا مطلقًا " [3]، بمعنى أنّ همبولت يستبعد أن يخضع العقل لأيَّة حتمية أو جبرية، حتَّى وإن كانت من اللغة نفسها قد تُمارَس عليه .

1–دور الفردية في نظام اللغة :

بناء على معطى كون همبولت واحد من رواد المثالية الألمانية المذكور سابقا، فإنّه حتى وإنْ أُتيحت له فرص التوغّل في سلسلة السببيّات، لا يمكن له أن يُخضِعَ الإنسان من حيث هو طاقة حريّة لأي حتميّة من طبيعة أحادية و مكانيكيّة [4] ، إذ يتبيّن لنا من خلال هذا و بالرّغم من كونه

[1] - محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي ، مرجع سابق، ص77.
[2] - جورج طرابيشي ،إشكاليات العقل العربي، مصدر سابق ، ص112.
[3] - عبد الوهاب جعفر، الفلسفة واللغة، مرجع سابق، ص 142.
[4] - إميل بريهيه ، تاريخ الفلسفة، الجزء السابع، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ط2، د ت ، 1993، ص276.

قد أُغرِي صنيع سائر المثاليِّين الألمان بالبحث عن صيغة كلية للتطور[1] ، أنّه كاف للإقرار بأنّ همبولت قد حرِص على التأكيد بأنّ مجال التغيّر والتطور هو من الداخل، من خلال تلك الظّواهر الطارئة واللا متوقعة ، والتي يمكن أن تتمثّل في الأفراد بعيدًا عن أي حتمية تَفرِض قوانينها على الجماعة كلها .

من الملاحظ من خلال ما سَبَق أن همبولت ليس من المفكرين " الجماعي النزعة "*، حتى وإن اعتبر من أكثر المهتمين مقارنة بغيره " بتحديد المزاج العام للأمم والعصور والروح القومي ورؤى العالم، وكل ما يتعلّق بالدراسات الأنثروبولوجية المقارنة" [2]، وابتعاده عن ما نحن بصدده خاصة فلسفته في اللّغة، الأمر الذي يدفعنا إلى الحكم بأنّ نظرية الفردية قد تمثّل الجانب الأصيل والغالب على فكر فون همبولت، والتي تظهر من خلال وقوفه على مدى فعالية ومركزية الفرد داخل الجماعة .

يتّفق طرابيشي مع أغلب الباحثين على أن مركز إهتمام همبولت يتمثل في المشهد الأنثروبولوجي للثّقافات الجماعية، لكنّ النّقطة المحورية التي يمكن أنْ يختلف فيها كونه لا يبحث عن كيفية تشكُّلِ هذه الجماعات وإنّما سؤالُه الرئيسي : كيف يتفرَّد فيها أفرادها؟ [3]، ومن هذا تتأكّد لنا تلك النّظرة التي يعتمدها همبولت التي تُصوّر الفرد على أنّه عنصر إبداع داخل الجماعة، لا مجرّد عضو يَنصهر داخلها ، أي إعادة ظهور الفرد بصورة متفردة مختلفة عن

[1]- إميل بريهيه ، تاريخ الفلسفة ، مرجع سابق ، ص 277.

*) نقصد بقولنا هنا جماعي النزعة أي النزعة الجماعية التي تصف أي وجهة نظر أخلاقية او إجتماعية أو سياسية تشدّد على أهمّية التواكل المتبادل بين أفراد المجتمع .

[2] - جورج طرابيشي، إشكاليات العقل العربي، مصدر سابق ، ص113.

[3] - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

الغير، وهو ما أدّى ببيير تروتينيون Pierre Trotignon أن يقول عن همبولت " أنّه تصوَّر كل ثقافة على أنّها عملية خلق كليّة تتيح للفرد أن يخترع داخليته الخاصّة ووجدانه الخاص" [1]، ومنه أمكن القول أن سؤال الحرية لا الجبرية هو المركزي بالنسبة لهمبولت ، بخلاف ما يقدِّمه الجابري همبولت حتمي النَّزعة، ومن هذا المنظور يتصدّى همبولت للأطروحة القائلة بمساهمة اللغة في تحديد نظرة الإنسان إلى الكون مساهمة مطلقة .

2-تطوّر اللغة حسب همبولت :

تأكيدًا على تصدّي همبولت سابق الذكر، وبالرغم من رؤيته للمبحث اللّغوي باعتباره مظهرًا رئيسيًا من مبحث الطابع القومي للأمم، إلا أنّه يعتقد بأن اللغة وإن حدّدت الأمم فهي لا تحدّد الأفراد، وإذا كانت تحدّد رؤية العالم فهي لا تحدّد ملكات التفكير[2]، وهذا ربّما لكون التفكير ملكة خاصة بالأفراد وليس بالأمم، باستثناء الأمم في طورها الجماعي فعندما يكون الطابع القومي غالب على الطابع الشخصي للفرد في هذا الطور، يضعف أمام اللغة الطاغية آنذاك، ولكن في أطوار لاحقة من وجود الأمة واغتناء ثقافتها تبرز شخصية الفرد أمام اللغة ، وتتسع الفوارق بين الأفراد، إذن فاللغة في التصور الهمبولتي في إغتناء متواصل ويحددها في التالي: [3]

- **من خلال تقدم الثقافة :** تكتسب اللغة مع تقدّمها في الزمن ألحانا جديدة و تراكيبا مستحدثة .
- **من خلال حركية الأجيال :** حيث أنّ كل جيل يضيف إلى اللغة ما لم تُضفه الأجيال التي سبقته .

[1] - روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب ، ترجمة أحمد عوض، سلسة عالم المعرفة ، الكويت، د ط ، 1997م، ص 286.
[2] - جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي، مصدر سابق ، ص 113.
[3] - المصدر نفسه ، ص115.

- **من خلال عبقرية الأفراد** : وذلك من خلال الكتاب المبدعين، الذين يقدمون إضافة إلى اللغة التي يتكلمون بها فيثرون بها قاموس اللغة .

ومُوجَزُ القول فإن هناك تحولات ثلاث تطرأ على إشكالية العلاقة بين اللغة و الفكر:[1]

أولا : طور تشكّل الجماعات اللغوية البدائية، حيث يكون الفكر فيه تابعا للغة.

ثانيا : طور الانتقال إلى الجماعات الثقافية، حيث يتبادل الفكر واللغة التأثّر والتأثير.

ثالثا : في الطور الأخير كما هو حال الأمم الحديثة تعود اللغة تابعة للفكر فيُنشئ ألفاظها وتراكيبها ويخترع لغات رمزية كما حدث في الثورة المعلوماتية.

بقي أن نشير أخيرا إلى أنّ همبولت رغم توكيده المكرر على كون كل لغة تحمل رؤية أصيلة للعالم، إلاّ أنّه في نصٍ أخر يُخضع هذه المعادلة لمشروطيّة جديدة، ألا وهي مستوى التطور الثّقافي [2]، بمعنى أن الطابع القومي أو النّظرة إلى الكون، والتي تحدّدها اللغة القومية نراها أقوى تظاهرًا فقط لدى الأمم الأقل ثقافة مقارنةً بالأمم البالغة درجات من التقدم .

وبناءً على ما سبق فأنّ تأويل الجابري للفكر الهمبولتي في موضوع العلاقة بين اللّغة والفكر تأويل خاطئ، فاللغة حسب همبولت تابعة للعقل الذي يُنتجها إذ يصفه : " بالنّهر الذي يحفر مجْراه ويُرسل دفقاتِ أمواجه في الإتجاه الذي يشاء...عكس الجابري الذي يعتبره قناة ذليلة متفرِّعة من نهر اللغة ..."[3]، ففي أبعد الأحوال إذن فإنّ العلاقة بينهما تبادليّة، أي علاقة تأثّر وتأثير لا في اتجاه واحد – ميكانيكي آلي – كما يدّعي الجابري، بمعنى أنّ الخصائص العقلية تواكب تطوّرًا

[1] - جورج طرابيشي، إشكاليات العقل العربي، مصدر سابق، ص 114-115.
[2] - المصدر نفسه ، ص 116.
[3] - محمود خالص ، معضلة اللغة العربية، مرجع سابق ، ص135.

للّغة في كلِّ أمّةٍ من الأمم، وهذه المواكبة الوثيقة تجعل من الممكن إستنتاج أحدهما من الأخر(الخصائص العقلية من تطور اللغة أو العكس)، وذلك لأنّ العقل واللغة وجهان لا يقبل أحدهما سوى التصوّرات المتناغمة أو المتوافقة مع الوجه الآخر، ومن هنا أمكن لنا النّظر للّغة على أنّها المظهر الخارجي لروح الأمّة .

المطلب الثالث : من خلال إدوارد سابير Edward sapir (1884–1939)

جاء في "التّراث والحداثة" للجابري قول إدوارد سابير نقلا عن آدم شاف : " إنّ لغة جماعة بشريّة ما، جماعة تفكر داخل تلك اللغة وتتكلم بها هي المنظم لتجربتها وهي بهذا تصنع عالمها وواقعها الإجتماعي..."[1]، والذي يُفهم منه أنّ العالم الخارجي هو بمثابة إنعكاس للّغة لا أكثر، وبعبارة أخرى: " إنّ كلّ لغة تحتوي على تصوّر خاص بها للعالم"[2]، وهذا تأكيدًا منه على أنّ اختلاف العوالم هو في الأخير راجع لاختلاف اللّغات.

1–إدوارد سابير بين العلميّة والميتافيزيقيّة :

إنّ ما يُهِمُّنا هنا من سابير الذي يستشهد به الجابري هو التّناقض الذي كشفه طرابيشي، وغَفِل عنه الجابري، يكمن هذا التناقض في جمع سابير في شخصه بين موروثين ثقافيين وهما "موروث فلسفة المدرسة اللّغوية الألمانية، وموروث المدرسة التجريبية الأمريكية التي خطت خطوة حاسمة نَحْو تطويرِ فقهِ اللغة المنقطع النّظير للقارّة الأمريكية الشمالية"[3]، بمعنى ذلك الجانب الميتافيزيقي الذي يساوي بين اللغة وتصوّر العالم، الخاص بالمدرسة اللغوية الألمانية في مقابل المستوى

[1]- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، مرجع سابق، ص142.
[2]- محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي، مرجع سابق ، ص77.
[3] - روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، مرجع سابق، ص334.

العلمي الكبير الذي بلغته أبحاث المدرسة التجريبية الخاصّة بفقه اللغة ، وتأثيرهما على فكر سابير في ما بعد .

يذهب طرابيشي إلى أبعد من ذلك واصفًا القراءة التلميذية التي يقدمها الجابري عن سابير لم تكتفي بإلغاء تناقضاته، بل تتجاوز بكثير ذلك لتصل إلى إلغاء نصف سابير لصالح نصفه الآخر[1]، وهذا في إشارة منه إلى الوساطة التي يأخذ بها الجابري لقراءة سابير دوما عن طريق آدم شاف، والتي وُظّفت في غير منْحاها، بل شهدت تجاوزًا كبيرا وصل بالجابري إلى حد توظيف سابير ميتافيزيقي اللّغة الدّاعم لفرضيّته و إسقاطه لسابير الباحث اللغوي العلمي إسقاطًا كليًا، تفاديًا لوقوعه في أيِّ تناقضات ، ممّا يُلاحظ هنا أيضا إصرار طرابيشي للإشارة إلى العوامل التي يمكن أن تتحكّم في توظيف مثل هذه الفرضيّات من جانب صاحب كتاب "اللغة والمعرفة" أولاً ثم الجابري ثانيا .

إنّ قول سابير الموضوع على لسان شاف: " إنّ لغة جماعة بشرية ما جماعة تفكر داخل تلك اللّغة وتتكلم بها هي المنظم لتجربتها، وهي بهذا تصنع عالمها وواقعها الإجتماعي ...." [2]، يمكن أن يحمل عديد العيوب، من جهة أولى يُصرح بمثالية مطلقة واضحة كلّ الوضوح باعتباره أنّ اللّغة وحدها بعيدا عن أيِّ مبدأ خلاّق آخر صانعة للعالم وللواقع المعاش، ومن جهة ثانية تُخالف كليًا موقف سابير المادّي والذي يرى بأنّ اللغة لا يمكن أن تكون سِوى إرتداد لهذا الواقع، وبهذا يمكن القول أن استنجاد آدم شاف الماركسي بفرضية سابير، لا بدّ وأن يكون بهدف تثبيت

[1]- جورج طرابيشي، إشكاليات العقل العربي، مصدر سابق، ص118

[2] - محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص77.

النظرية الماركسية في الحقيقة بوصفها انعكاسا للواقع المادي، وبناء على غاية التوظيف هذه فإنّه من المستبعد أن يُتَّخذ من اللغة بوصفها الصانعة لهذا العالم والواقع .

2-تناقضات سابير :

إنّ سابير حتّى وهو يجعل من اللّغة حاملة لرؤية خاصّة للعالم، في نفس الوقت يرفض أن نعتبرها صانعة له، إذ نجده يؤكِّد على العكس من ذلك وبعبارة واضحة لا تقبل أي غموض في التأويل قوله: " إن اللغة قبل كل شيء نتاج اجتماعي وثقافي وكذلك ينبغي أن تفهم" [1]، إذن فاللّغة ترتدُّ على هذا الواقع لقولبته (نسبة إلى قالب الخياط) وتفصيله، توصيفاً لدور اللّغة في تفصيل ثوبِ الواقع.

إنّ سابير ورغم اتّفاقه مع آدم شاف في كون اللغة بمثابة نتاج للواقع الاجتماعي، لكنّه يأخذ بالافتراق عنه حينما يؤكّد في هذه النقطة بالذّات، وخلافًا لما تقتضيه النّظرية الماركسية أن تكون اللغة انعكاسا لهذا الواقع [2]، يتضح من خلال هذا أنّ سابير ينفي أن تكون هناك أيُّ علاقة سببية بين اللّغة من جهة والواقع الاجتماعي والثقافي من جهةٍ أخرى، ربّما ما يريده سابير من هذا أنّ تصورنا لتقدم الثقافة لا ينبغي أن يقام قياسا لظهور تَبَسُّط في الأبنية الغوية، خاصة بتلك الثّقافة والعكس صحيح .

إن هذا التّفارق والطّلاق الذي يقيمه سابير بين تطوّر اللغة وتطوّر الثّقافة أو النّمط اللغوي والنّمط الثقافي، لا يتمتّع بدرجة مطلقة من الإلزام العلمي على قارئ سابير[3]، فعند استحضار

[1] - محمود خالص، معضلة اللغة العربية، مرجع سابق، ص136.
[2]- جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي، مصدر سابق ، ص119.
[3]- المصدر نفسه، ص 119.

فرضيّة النسبية اللغوية* لسابير والتي تؤكّد على أن " تركيب العالم الواقعي إنّما يواكب عاداتنا اللغوية الى حدٍ كبير"[1] ، إنّما يشير هذا إلى نَوعٍ من التحديد قد تُمارسه اللّغة لإضفاء تصورات خاصة بهذا العالم أي أن العادات اللغوية هي من تمدّنا باختيارات محددة لتفسيراتنا ، وهذا يستوجب وجود علاقة سببية بين اللغة و رؤية العالم، وهو ما لا يتفق ما ذلك التّفارق الذي أقامه سابير بين النّمط اللغوي والنّمط الثقافي ، وعليه فدَعْوى الطّلاق لم يلتزم بها سابير نفسه حتّى يلتزم بها قارئه .

إنّ هذا التّناقض ربّما يكشف لنا عن تغلُّب الجانب الميتافيزيقي في أطروحة سابير، مقارنةً بجانبها العلمي، والذي يظهر من خلال تجاوزه لتلك اللاسببيّة أو اللاحتميّة التي قال بها هو نفسه في العلاقة بين اللّغة والثّقافة، إلى جبريّة لغويّة تجعل للّغة اليد الأطول على الثقافة ورؤية البشر للعالم.

أثناء تأصيل طرابيشي لتناقضات سابير بسبب فرضيته اللغوية يعود إلى تحذير أعلنه هو نفسه إذ يقول سابير:" إن النسبية اللغوية ليست أصعب على الفهم من النسبية الفيزيائية الأنشتاينية "[2]، مع كون سابير كان معاصرا لأنشتاين ، فيمكن إرجاع مفهوم النسبية إلى أصول أنشتاينية.

إذن فمن خلال روّاد النّظرية اللغوية الألمانية (هردر، همبولت ، وسابير)، والذّي استأنس الجابري بمقولاتهم الموضوعة على لسان آدم شاف، يُعلن الجابري عن التزامه في مشروعه هذا النّظرة العلمية المعاصرة ، والتّصوّر العلمي في أقصى مراتبه، إلاّ أنّ طرابيشي يرى على العكس

*) تتلخّص هذه النظرية في التأكيد على أنّ البناءات اللغوية للغتنا الأولى هي التي تحدد وتنظم تصورنا للعالم الفيزيقي والاجتماعي والسّيكولوجي أيّ أنها تؤكد على نسبية تصور العالم . (نوري جعفر، الفلسفة واللغة ، مرجع سابق، ص140).

[1]- المرجع نفسه، ص 144.

[2]- جورج طرابيشي، إشكاليّات العقل العربي، مصدر سابق ، ص120.

من ذلك كون بضاعة الجابري من العلم اللّغوي تبدأ مع هردر، وتنتهي مع سابير المتوفّى عام 1939م، بقوله : " فإنّ أيًّا من رواد اللسانيات الحديثة – كما بالأولى المعاصرة – لا يرد له ذكر في مرجعياته : لا تشومسكي* ولا دوسيسير ولا حتى بلومفيلد** وغيرهم ..." [1]، وهذا بالتأكيد ما جعل عمل طرابيشي يرتكز في الأساس على مراجعة وتدقيق كل شواهد الجابري، والحاملة لتصورات روّاد النّظرية اللّغوية الألمانية في ما يخصُّ علاقة اللّغة بالفكر، وبناءً على هذا يمكن القول أنّه لم يحضر منهم سوى أشباههم، وهذا للتّناقضات التي كشفها طرابيشي ، ربّما يرجع ذلك إلى تعدّد الوساطات التي حَمِلت هذه الشواهد .

*) أفرام نعوم تشومسكي Avram Noam Chomsky : ولد في 1928 عالم لغويات روسي صاحب نظرية النحو التوليدي التحويلي والتي مهدت لأفكار جديدة في تاريخ البحث اللغوي وقد جاءت نظريته هذه انطلاقا من موقف نقدي اتخذه تجاه اللسانيات البنيوية في أمريكا وأوربا ، من مؤلفاته : اللغة ومشكلات المعرفة ، أفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل . (مصطفى مرشد جبير، معجم الفلاسفة الأمريكان، إشراف وتحرير علي عبود المحمداوي ، تقديم محمد الشيخ ، دار ومكتبة عدنان طبع - نشر –توزيع، بغداد، ط1، 2015، ص 580.)

**) ليونرد بلومفليد Leonard Bloomfield : (1787-1949) من أهمِّ الوجوه البارزة في الفكر اللغوي الأمريكي تحديدا في اللسانيات البنيوية حاول تحويل اللسانيات إلى علم فطبق مناهج المدرسة السلوكية في علم النفس على اللغة من اشهر كتبه " اللغة".(المرجع نفسه ، ص582).

[1] - جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي، مصدر سابق ، ص 124.

المبحث الثاني : جدلية اللغة والعالم – اللغة والزمان .

المطلب الاول: نفي مساواة اللغة بالعالم في مثال الثلج .

يرى طرابيشي أن حصر الفكر العربي في لغته كما فعل الجابري، لا يمكن إعتباره سوى محاولة للنّيل من اللغة العربية، وذلك قصد إثبات تلك الفرضية القائلة بأنّ اللغة هي المحدّد لإقامة رؤية للعالم، في حين أنّ هذه المرة قد لجأ الجابري لشخصيّة علمية لم يذكرها بافتراض طرابيشي، وهو عالم اللّسانيات الأمريكي بن يامين وورف* Whor Benjamin .

1-محاجّة وورف (مثال الإسكيمو):

يُورِد الجابري دليلاً على ما يفترضه بلا ذكر بنوته لوورف يكتب: " هناكَ أمثلة عديدة يسوقها علماء اللغة و الإثنلوجيا لتأكيد الآراء السابقة والبرهنة على صحتها ،أي أنّ اللّغة هي من تصنع العالم..." [1]، وفي هذا يُفنّد طرابيشي قول الجابري عندما يَعدُّ مثال الإسكيمو صائبًا لتأكيد فرضيّته الأساسية، وهي أن اللغة صانعة للعالم ، إذ يرى وورف من خلال هذا المثال أن سكان الإسكيمو يتوفرون على عدد من الكلمات التي تخصّ عالم الثلج أنواعه، تراكمه ، تحولاته ... [2]، وهذا إن دلّ على شي فإنه يدل على أنّ عالم الثلج لدى الإسكيمو أوسع وأدقّ عندهم من عالم الثلج لدى العرب والعكس صحيح عند العرب فيما يتعلق بالحرارة ومعانيها المختلفة المتنوعة كدرجتها وتغيّرها....الخ، إنّ تأكيد الجابري الدّائم على جوهرية اللغة كعامل حاسم في تأطير الرؤية للكون،

*) بن يامين وورف Whor Benjamin : (1897-1941)عالم لسانيّات أمريكي اشتهر بتبنيه لنظرية أنّ اختلاف النّحو بين اللغات يجعل من تصوّر وفهم العالم مختلف عند كل مجموعة لغوية ، عُرف هذا المفهوم بنظرية سابير وورف رغم أنّ وورف فضّل تسميته بالنسبيّة اللّغوية .(جورج طرابيشي، معجم الفلسفة، مرجع سابق، ص545).

[1] - محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي ، مرجع سابق ، ص78.
[2] - جورج طرابيشي ،إشكاليات العقل العربي، مصدر سابق ، ص126.

يدْفعنا للإقرار بأن اللغة و حسب مثال الإسكيمو لا تعكس الظروف الطبيعية فحسب، و إنّما تحمل معها هذا الإنعكاس لأزمنة وأمكنة مختلفة كون المتكلّمين بالعربية سواءً سكنوا المناطق الحارّة أمِ المعتدلة قد ظلّوا سجناء العالم الفقير الذي تُقدِّمه لُغتهم عن عالم الثلج، وبهذا فنحن أمام تعدّدٍ للعقولِ .

في بداية تفنيد طرابيشي لأطروحة الجابري يؤكِّد أنّ المدرسة الأمريكية ممثّلة بسابير، و وورف هي الوحيدة التي أُتيح لها أنْ تجمع بين اللغة والأثنولوجيا وأنْ تطوّر نظرية لسانية إثنيّة بالإستفادة من تواجد العديد من القبائل الهندية الأمريكية، والتي كانت موضوع لذلك[1]، وهذا تبيانا من طرابيشي لمقاصد قد تكون عنصرية وعلمية تبنتها هذه المدرسة، وسعيا منها لأن تكون هذه الحظائر المحافظة على هكذا تراث شفهي بمثابة متاحف حية .

إن اعتراض طرابيشي على مثال الإسكيمو، الذي يقدمه الجابري والذي أراد من خلاله وورف أن يُثبت أنّ: "البنية التحتيّة اللغوية ليست مجرد أداة تسمح بالتّعبير عن الأفكار بل هي تحدّد شكل هذه الأفكار، وتُرشد وتوجِّه الفاعلية الذهنية للفرد "[2]، من خلال هذه الدّعوى التي ربّما تؤسس لنسبية لغوية مطلقة، يؤكد وورف على اختلاف اشتغال العقل باختلاف اللغات، ولتكرِّس دائما تبعيّة الفكر للعادات اللغوية المنتشرة، مستدلًا في ذلك بأمثلة من اللغات " السامية والصينية والإفريقية والأوربية والهندية الأمريكية "[3]، يتضح من خلال هذا أن وورف بالغ في التأكيد على دور الأدوات اللغوية في توجيه الفكر، وفي إقامةِ تصوّراتٍ متغايرة ، فتعدّد البناءات المختلفة

[1] - جورج طرابيشي، إشكاليات العقل العربي، مصدر سابق، ص126.
[2] - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
[3] - محمود خالص، معضلة اللغة العربية، مرجع سابق، ص 138.

للّغات أدَّى إلى توظيف متغاير للفكر، مما أدَّى إلى تصورات للعالم متغايرة ، ولهذا ربّما من الأصح القول أن الظواهر تتغاير لدى الملاحظين لأن أدواتهم اللغوية تمدُّهم بتصوّرات متغايرة، بدل القول بأنّ بناءات اللّغة تتفاوت في التّغايُر لأنّها تعبر عن ظواهر متغايرة .

2-مراجعات طرابيشي حول محاجَّة وورف :

ميّز طرابيشي بين مستويين اثنين يتعلّقان بمحاجَّة وورف وهما: النيّة والنّصاب العلمي، فمن ناحية أولى يُشَرِّع طرابيشي لوورف رغبته في ردِّ الاعتبار إلى ثقافات أمريكا الهندية لكن ما يؤخذ عليه هو مغالاته حين يذهب في دفاعه عن عقلانيّة لغات الهنود الأمريكيين إلى حدِّ القول " أنّها ذات استطاعة أكثر عقلانية على تحليل المواقف من اللّغات الأوروبية "[1]، إذ يمكن تفسير هذه المغالات إرجاعا إلى الأهمية التي تحظى بها اللّغات البدائية، عموما فامتلاك الفرد لإحداها هو بمثابة إمتلاك مرآة جديدة تُمكِّنه من النَّظر من خلالها إلى لغته، ومقارنتها بها .

ومن ناحية ثانية، أي من ناحية علميتها فإنّ محاجَّة وورف تشكو من نقاط ضعف جوهرية [2]، أبرزها في نظرنا قد يتمثل في أنَّ معجم الثلج الخاص بالإسكيمو يكاد يثبت لنا بالفعل أن اللغة هنا ليست رؤية للعالم بقدر ما هي مرآة لهذا العالم، وذلك لأنّ البيئة هي من أثْرت هذا المعجم بألفاظ الثلج ، ومنه وجب القول هنا بأن اللغة تابعة للعالم و المنطق الطبيعي وليس العكس .

ومن زاوية أخرى يذهب محمود خالص، وفي محاولةٍ منه لإبْطال محاجَّة وورف أيضا إلى إعتبار حالة الإسكيمو حالة حدِّية مقارنةً بأغلبيّة حضارات البشرية التي تركَّزت في مناطق

[1] - جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي، مصدر سابق ، ص127.
[2] - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

معتدلة[1] ، حدِّية إذن لكونها كانت منعزلة بخلاف باقي الحضارات قامت على التَّواصل، ومنه فقد يكون شرط الوحدة خاصة المكاني دليلاً للمقارنة اللّغوية ولإصدار أحكام يمكن أن تُعطي الأولوية لمقولات لغوية كي تشكِّل أنماطًا من التَّفكير.

على هذا الأساس فإنّ المقارنة بين لغة الإسكيمو القطبيِّين ولغة العرب الصحراويِّين لا يمكن قبولها، وذلك راجع بالدّرجة الأولى إلى اختلاف مستويات التجربة بين العالمين إختلافا غير قابل للقياس .

وفي الأخير يمكن القول أنَّ فرضية المفكر المغربي الرئيسية حول اللّغة العربية كونها لغة صحراء وبداوة، وهي فقيرة بمفردات الثلج والبرد والسّمك، في المقابل فإنّ طرابيشي يؤكد بالجزم أن الصَّحراء لا تغطِّي إلا جزءًا من الجغرافيا العربية إلى جانب البحار والتلال والجبال والسهول، وأبرز مثال على ذلك كون مكّة والمدينة وخيبر والطائف مراكز حَضَريّة تقع في هضبةِ الحجاز،[2] وهذا ما يدفعنا إلى إعادة النَّظر في المعطيات التي قامت عليها فرضية الجابري وذلك استنادا لمراجعات طرابيشي لها .

المطلب الثاني : دحض فكرة خلوّ اللغة العربية من الزّمان.

إنّ اعتبار محمد عابد الجابري اللغة اليونانية زمانيّة لكون العقلية اليونانية لا تستسيغ حدوث شيء خارج الزّمان " فالزمان والفعل متلازمان ومن هنا قدم العالم وقدم الزمان "[3]، أمّا التصور

[1] - محمود خالص ، معضلة اللغة العربية ، مرجع سابق، ص138.
[2] - جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي ، مصدر سابق ، ص133.
[3] - محمد عابد الجابري ، التراث والحداثة ، مرجع سابق ، ص148.

العربي فيراه يقبل بفكرة الفصل بين الفعل والزمان إنطلاقا من القول: " بحدوث العالم وأن الله خلقه في لازمان "[1].

إنّ ما يذهل طرابيشي في نص الجابري هذا أنّه يجعل من مفهوم "العقلية" معطى قبليا، بل فطريا وبيولوجيا يفسِّر التّاريخ ولا يتفسَّر به[2]، ربّما يشير هنا طرابيشي وبهذه الفِطرة إلى حدِّ التطرّف للعرقية، فما من تفسير بأنّ العقلية اليونانية زمانية، ولا تستسيغ حدوث أيّ شيء خارج الزمان سوى لأنّها يونانية فقط والعكس يصحُّ في أنّ العقلية العربية لا زمانية لأنَّها وفقط عربية .

بالرجوع – حسب طرابيشي – إلى أيّ كتاب تعليمي في قواعد اللّغة اليونانية فسنجد أنّ المصدر الذي هو فعل بلا زمان موجود في اللّغة اليونانية، وهو ما يُسمّى في اللغة اللاتينية linfinitif، وما تعرفه اللّغة اليونانية القديمة باسم aparemphaiss[3]، وعلى هذا فإذا كان المصدر في اليونانية هو صيغة للفعل، عكس ما نراه في العربية باعتباره صيغة إسميّة، بهذا المعنى بين العربية واليونانية، فإنّ الأُولى هي من لا تستسيغ الفعل إلاّ إذا كان دالاً على زمان، فإنْ لمْ يدُل على زمان صار مصدرًا وبالتّالي إسماً، وهذا ما يخالف دَعْوى الجابري القائل بتبنِّي التصوّر العربي لفكرة الفصل بين الفعل والزمان .

يستشهد كذلك طرابيشي لإثبات مسألة لازمانيّة اللغة اليونانية، بما جاء به الباحث جان هوميير jean humier في كتابه النحو اليوناني، من أنّ الصيغ الزمانية رغم إسمها تبيِّن جوهرياً لا عن

[1] - محمد عابد الجابري ، التراث والحداثة ، مرجع سابق، ص148 .
[2]- جورج طرابيشي ، نظرية العقل العربي ، دار الساقي ، بيروت ، ط1 ، 1996، ص 294.
[3] - المصدر نفسه، ص296.

الزمان بل عن "الهيئة" (Aspect) وهي" ما تعبّر عنها الصيغ المسمَّات بالزَّمانية"[1]، فنحن نتصور الزمان تصوّراً مكانياً، إذ نتخيَّل ذلك الخط الممتد يسارًا ليشكل الماضي، ويميناً بلا نهاية مشكلاً المستقبل، والحال أنّ هذا التصوّر المجرّد الذي يجعل من الزّمان شيئا متحققاً كما يرى طرابيشي، وبِحكم أنّ لغة اليونان" لغة شعب ذي مزاج حدسي" [2] ، يتّضح من خلاله أنّها لم تهتم بالتّعبير عن العلاقات المجرّدة ، فقط تتبّعت تمثُّلات أحوال الفعل ، فعينيّة وذاتيّة الهيئة جعلا اليونانية ربّما حسّاسة بالهيئة، وعلى هذا النَّحو أمكن لنا القول بأنّ الصّيغ الزّمانية للفعل باليونانية قلَّ ما تشير إلى الزّمان فعلا .

إن أردنا ضبط تصوّر اليوناني للزمان، فلا بدّ من الإستعانة بأرسطو، إذ يعتبر " الزمان ليس جوهرا ولا ممّا يشارك في الجوهر، لأنّه إمّا غير موجود بإطلاق وإما لأن وجوده –إن وجد– ناقص وغامض، والزمان لا يوجد بدون تغيّر ...لا وجود له بدون حركة " [3]، ومنه فالزّمان في التصوّر اليوناني ليس له وجود مستقل بذاته مطلقاً، بل هو نسبي فإذا كان أرسطو أميل إلى القول بقِدَم الزمان، فأفلاطون أقرب إلى القول بحدوثه وخلقه، وعلى هذا الأساس فإنّ القول بقِدَم العالم وقدم الزمان ليس من المسلّمات اليونانية .

يستعين طرابيشي بمثالين على مفهوم الزمان المطلق في الثقافة العربية الإسلامية وهما كل من الرازي وابن رشد :

[1] - جورج طرابيشي ، نظرية العقل العربي ، مصدر سابق ، 296م . نقلا عن كتاب النحو اليوناني لجان هومير .
[2] - المصدر نفسه ، ص294.
[3] - المصدر نفسه ، ص298-299.

- مفهوم الزّمان عند الرازي : في مذهبه القائم على رفض فكرة الخلق فالزّمان عنده خامس القدماء الخمسة وهي البارئ والنّفس والهيولى والمكان والزمان، والزمان عنده نوعان زمان مُطْلق وزمان محْصُور، فالأوّل قصد به المدَّة والدَّهر وهو قديم، أمّا الثّاني فهو متحرِّك غير ثابت ومرتبط بحركة الفلك والشمس والكواكب[1].
- مفهوم الزّمان عند ابن رشد : في ملخَّص ما يقدِّمه ابن رشد أن الموجودات منها ما هي إلاهية تقع خارج الزمان، فالله ليس في زمان وهو الموجود الأول الذي لا يتّصف بالحركة ولا بالزمان وهو علة وجود الثاني الذي تشمله الحركة والزمان[2] ، يرفض ابن رشد تبعاً لطرابيشي أن يكون لفعل " كان" معنى زماني، إذا تعلق بالله من حيث هو كائن في لازمان فقول : كان الله تعالى ولا عالم، ثم كان الله تعالى والعالم لا تعني أكثر من ربط الخبر بالمخبر.

من الملاحظ على ابن رشد أنّه تقدّم على أرسطو نفسه بتحريره لمفهوم الزمان من مرجعيّته النّفسية، وهذا ظاهرٌ على أرسطو من خلال تردده بين التفسير الذاتي والموضوعي للزمان، حينما يميل للقول بأن الزمان يتغير بتغيرنا، وبأنّه لو تماثلت أناء الزمان ولم تتغير لانعدم الزمان أو على الأقل إنعدم شعورنا به على العكس من ذلك " كون الزمان واحد لكل حركة ومتحرك وموجود في كل مكان "[3]، ومن هنا يخلص طرابيشي وبعكس الجابري إلى أن العقلية العربية الإسلامية على النقيض من العقلية اليونانية وبعامل اللغة الذي يجعلها لا تستسيغ وضع الأشياء خارج الزمان .

[1] - أبو حاتم الرازي ، أعلام النبوة ، تقديم جورج طرابيشي ، دار الساقي ، بيروت ، ط1، 2003م، ص25.
[2] - جورج طرابيشي ، نظرية العقل العربي ، مصدر سابق ، ص306.
[3] - المصدر نفسه ، ص307.

الفصل الثالث:ردود طرابيشي على مزاعم الجابري

المبحث الأول : دحض دَعْوى لاتاريخيّة وحسيّة اللغة العربية

المبحث الثاني : دعوى ذهنية وموسيقية ولا حملية اللغة العربية

المبحث الأول : دحض دَعْوى لا تاريخيّة وحسيّة اللغة العربية

المطلب الأول : عن لا تاريخيّة اللغة العربية

جاءَ وصف الجابري للّغة العربية باللاتاريخيّة في سياقِ ظروفِ جمعِها من طرف الخليل بن أحمد الفراهيدي، فبالنّظر إلى المبدأ الذي وضعه الخليل في تقعيد اللّغة والتي اتّبعها علماء اللغة من بعده يقول الجابري: " نجد أنفسنا أمام طريقة لِصُنع اللّغة وتحجيمها في قوالب ثابتة صلبة، لا أمام قواعد لجمع شَتَاتِها، وتنظيم حياتها الداخلية مع الحفاظ لها على إمكانية التجدّد والتطوّر" [1].

إذن فإنّ هذه القواعد المُحكمة لاشتقاق الكلمات وتوْليد المعاني، قد يجعل من اللّغة العربية قاصِرة على التغيّر والتجدّد، لا في نحوها ولا في حروفها ولا حتى في ألفاظها وكلماتها، لذلك وحسب الجابري فهي تستحقُّ سِمة اللاتاريخية وذلك ما يؤكّده قوله: "إنّها تعلو على التاريخ إذْ لا تستجيب لمتطلّبات التطور"[2].

في بداية مناقشة طرابيشي لهذا المعطى يقيم مقارنة بين نصّ الجابري و"أرنست رينان"* رائد المركزيّة الإثنيّة الآريّة** في القرن 19م، وهو من يشقُّ الطّريق للجابري في صبِّ أحكامه على اللغة العربية حسب ما يراه طرابيشي، إذ يقول رينان: " يمكن القول أنّ تدوين القرآن يَخْتِم تاريخ اللغة العربية ... فالعربية التي يَكْتبها اليوم المُتعلّمون لا تَخْتلفُ عن اللّغة التي خرجت من

---

[1] - محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي ، مرجع سابق ، ص83.

[2]- المرجع نفسه ، ص86.

*) رينان جوزيف أرنست Renan Joseph Ernest :(1823-1892)كاتب وفيلسوف ومؤرخ فرنسي إشتهر بترجمته ليسوع التي دعا فيها إلى نقد المصادر الدينية نقدا تاريخيا علميا والى التمييز بين العناصر التاريخية والعناصر الأسطورية ، كان يؤمن بتمرتب الأعراق ، له نظرة احتقار للإسلام والمسلمين .(جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة ،مرجع سابق، ص 339).

**)من المعلوم أن المركزية الإثنية بصورة عامة يمكن تعريفها على أنها انغلاق مجموعة إثنية و دينية حول قيمها دون انفتاحها على مجموعات أخرى مختلفة عنها ، من منطلق هذا الانغلاق حول الذات يجعل المرء يعتقد بنقاء ورقي قيمه مقارنة بقيم مجموعات أخرى والأمر يتعلق هنا باللغات الآرية .

مُصحف عثمان"[1]، وهذا بمثابة التأكيد على أنّ اللّغة العربية لم يطْرأ عليها أيُّ تطورٍ باستثناء بعض العمليات الخارجية الصّرفة لتثبيت قواعد النَّحو.

إنّ هذه المقارنة التي أقامها طرابيشي تكشف له حجم ذلك العداء الذي يكنُّه رينان للّغة العربية لكن طرابيشي يُبرز في أحدِ هوامشِ إشكالياتِ العقلِ العربي أنَّ تلك الهجائيَّة التي يَحمِلها موقف الجابري من اللّغة أكثر حِدَّة من عِدائيَّة رينان نفسُه الذي يُقِرُّ على الأقل بكمال وغنى العربية .

يكتب طرابيشي في ردِّه المزدوج على الجابري ورينان: " إن حُكم الجابري على اللغة العربية يَخْرق أهم قانون توصلت اللسانيات الحديثة إلى إكتشافه، وهو قانون حتمية تطوّر اللُّغات"[2]، كذلك يذهب الباحث محمود خالص في نفس الإتجاه ولكن من زاوية أخرى كون الجابري قد خرق قانونا آخر من قوانين اللّسانيات وهو الوَصفيّة* والذي أصبح من أُسُسِ اشتغالها متجاوزاً بذلك المعْياريَّة** في وصفِ الظواهرِ اللغوية[3]، ويظهر ذلك من خلال تدْليله على أنَّ رأي الجابري في لا تاريخية العربية إنّما هو حكم قيمة حاشدا أقوال عديد اللسانيين أبرزهم مارتنيه حينما يقرر بأنَّ علم اللِّسان ليس علماً معياريًّا بل هو بحث علمي للّغة البشرية، كذلك نادِرْ سراج الذي اعتبر اللّسانيات تلك الدراسة العلمية للّغات الإنسانية، معتمدةً الوصف والملاحظة نابذةً كل موقف معياري[4]، وعلى هذا الأساس يمكن القول بأنَّ بلوغ أقصى درجات العلمية يقتضي من الباحث

[1] - جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي، مصدر سابق ، ص 193.
[2] - المصدر نفسه ، ص 207 .
*) الوصفية : باعتبارها منهجا علميا في دراسة اللغة يقتصر على الوصف والملاحظة لمختلف الوقائع دون تفضيل بعضها عن بعض باسم بعض المبادئ الجمالية أو الإطلاقية . (محمود خالص، معضلة اللغة العربية، مرجع سابق، ص 278).

**)المعيارية : باعتبارها وجهة نظر تظهر من خلال إطلاق الباحث لمجموعة من الأحكام وفرضه لقواعد تتضمن مثلا مقاييس للصحة اللغوية على لغة مجموعة ما . (المرجع نفسه ، ص 279).

[3]-المرجع نفسه، ص277.
[4] - المرجع نفسه ، ص 278.

اللّغوي أنْ يصف الحقائق مبتعداً عن أيِّ فرض لقواعد وأحكام قيمة التي قد تُنِمُّ على وِجهةِ النَّظر المعياريَّة.

أمّا بالنسبة لقانون حتميّة تطوّر اللّغات، فيحشد له طرابيشي أيضا جملة من المواقف لألسنيِّينَ كبار إتّفقوا على أنّ التطوّر مقولةٌ تَسرى على اللّغات جميعها، أبْرزهم دو سوسير و أندرييه مارتنيه في قول الأخير:" إنّ كلّ لغةٍ هي في كل لحظة قيد تطوّر"[1]، في إشارةٍ منه إلى التَغيُّر الواضح والمستمر للّغة، أمّا اللّغوي محمد المبارك* يكتب:" ... فإنّ اللّغة كسائر الظّواهر الاجتماعيّة يطرأُ عليها التبدُّل والتغيُّر ولهذا وجَبَ مراعاة فكرة التطوّر في سائر الأبحاث اللغويّة"[2]، يمكن إرجاع استحضار طرابيشي لهذا الكم من الآراء فقط إلى مدى دهشته الكبيرة من إصرار الجابري على استثناء اللغة العربية من هذا القانون ، ورغبةً منه في إبراز موقفه خصوصا فيما يتعلَّق بتميُّز اللّغة العربية عن باقي اللغات من ناحية شكل التغيُّر الذي تأخذهُ.

في وصفه لمراحل تطوّر اللغة يرى طرابيشي بأنَّها تأخذ شكل الطَّفرات، والطَّفرة قد تشير كما نعلم إلى نوع من التغُّير الجذري وإلى معاني السرعة عموماً، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنَّما يدلُّ على إبراز طرابيشي لتلك التغيّرات الجذريّة والجوهريّة التي تطرأُ على اللغةِ العربية ما يجعلنا نلاحظ ذلك بوضوح ، إذ يرصد واقعة تغيُّر اللغة في خمس محطات " طَفَرات " وهي:

***المرحلة القرآنية** : خلال هذه المرحلةُ نَقَل القران اللغة العربية من نطاقِ أهلها العرب الجاهليِّين إلى نطاق الدِّين الإسلامي الكَوْني كلِّه، فأضحت غنيَّة بعديد المفردات الرّوحية مثل الجنّة ،

[1]- محمود خالص،معضلة اللغة العربية ، مرجع سابق، ص 280.

*) محمد المبارك : (1912-1981)مفكر وأديب وباحث ولد بدمشق ترك العديد من المؤلفات أبرزها " سلسلة نظام الإسلام " و " فقه اللغة وخصائص العربية ".

[2]- محمد مبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط7، 1981م، ص34.

الحساب، الصراط ،الملائكة ...الخ[1]، وهذا ما يجعل اللغة العربية طبعا بعد جمعها في مُصحفٍ واحد مكتوب، تشهد ذلك الإنتقال من الطّبيعة الشفهية و الشعرية إلى الطّبيعة النثرية .

***مرحلة العقل المُكوِّن** : ونقصد بالعقل المكوِّن ذلك العقل الذي يَستتبِع في مرحلة لاحقة عقلاً مُكوَّنا [2]، أي عقلاً عربياً مكتمل الخصائص والصفات يقابله عصر التدوين عند الجابري، وضِمن هذه المرحلة التي حفلت بالابتكار والتوليد والنَّسْج لا على مثالٍ سابق[3]، ومن ثمّ ظهور تلك العلوم بالإضافة إلى المعاجم، وهذا يرجع إلى عديد العوامل أبرزها عامل الترجمة، لتظهر لنا لغة جديدة تتلاءم مع ذلك الجديد من علوم مختلفة مثل الفقه والنحو والفلك والحساب والطب والكيمياء، ومنه فوجود هذه العلوم إذن مشروط بوجود معاجمها.

***مرحلة العقل المكوَّن** : يريد بها طرابيشي به ما سُمِّيَ بعصرِ الإنحطاط أو الفترة المُظلمة، وهي التي استمرّت قُرابة الخَمس قرون حيث وقع تطوّر أدنى للغة، من لغة مُنتِجة ومبدعة إلى لغة تَأكُل من مائدة نفسها، إذ أُصيبت اللّغة بنوعٍ من التطوّر لكن باتجاه الوراء، ربّما أمكن إرجاع هذا إلى التصنُّع والتكلُّف الظّاهِر على الخطاب ، والذي أصاب اللّغة مقتصراً على المجال الأدبي دون العلمي .

***مرحلة عصر النهضة** : وهي كنتيجة لتأثُّر الحضارة العربية بالحضارة الغربيّة من خلال العلوم التجريبية، كما كان أيضاً لِظهور الصُّحف والجرائد اليومية في الوطن العربي الأثر الكبير في

[1]- جورج طرابيشي، إشكاليات العقل العربي ، مصدر سابق ، ص 212.
[2]- أندري لالاند ، العقل والمعايير، مرجع سابق ، ص 48.
[3] جورج طرابيشي،اشكاليات العقل العربي، مصدر سابق ، ص215.

إنتشار اللّغة إلى الطبقات الدُنيا من المجتمع، فضلاً عن ظهورِ صيغٍ جديدة لتوليد الألفاظ والإشتقاقات، وعليه فإنّ هذه العوامل هي من تجعل اللغة دوما في حركيَّة وتطوّر مستمِرَّين .

***المرحلة المعاصرة** : تُعتبر كإضافة لمرحلة عصر النهضة، فهي طفرة مضافة إلى اللّغة، وهذا خاصة بعد الحرب العالمية الثانية بدخول آلاف الألفاظ الجديدة خصوصا من حقل الإتّصالات والتّواصل [1].

بعد عرض أهمَّ المراحل أو الطَّفرات التي مرت بها اللغة العربية، والتي من خلالها أدركنا أيَّما إدراك استجابة هذه اللغة للتّاريخ حتى وإن شهدت نوعا من التّراجع أحيانا، وهو ما يتعارض مع ما قرّره الجابري حتى ولو لم نَسِر مع طرابيشي فإنّ عامل تقدّم الثّقافة الذي يدفع باللغة إلى الأمام في نظرنا كاف لأن يبرر ما وافقناه فيه .

المطلب الثاني : حِسِّية اللغة العربية

يرى الجابري أن حِسيَّة اللغة العربية مرتبطة أيَّما ارتباط بلا تاريخيتها، وذلك بعد أن جُمعت من الأعراب البدو دون غيرهم، فنجم عن ذلك أن تركت آثارهم بها ومنها الطبيعة الحسّية لتفكيرهم ولما كان هؤلاء يعيشون حياة الفطرة والطبع أيْ حياة حسيَّة فقد إنعكس هذا على تفكيرهم وبالتالي على اللغة التي جُمعت منهم [2].

كما في المرة السابقة يعيد طرابيشي القول بمَدْيونية هذا الرأي للمستشرق أرنست رينان، وذلك من خلالِ مواقفه العِدائية للسَّاميِّين عرقاً ولغةً، ودليل ذلك ما جاء على لسانه: " أنّ هذه الخاصية

[1]- جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي ، مصدر سابق ، ص219.
[2]- محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي ، مرجع سابق ، ص86.

الماديّة والحسّية لنا هي العلامة الفارقة للّغات التي هي موضوع دراستنا ...وممكن القول أنّ اللّغات الآرية* بالمقارنة مع اللّغات الساميّة**، هي لغات التجريد والميتافيزيقا بالمقارنة مع لغات الواقعيّة والحسّية "[1] .

ربّما نفهم من تأكيد رينان هذا أنّ الحس هو وحده من يتحكّم بأولى عمليّات الفكر البشري، لكن بالنّظر إلى التمييز العنصري الذي يتسرّب إلى مواقف رينان، إلاّ أنّه لم يرفض بعض محاسن العربية، وهذا ما يجعل الجابري دائما أكثر غلوًّا من رينان نفسه بسبب حُكمِ القيمةِ هذا.

تقوم فرضيّة الجابري على مسلّمتين وهو ما يرفضهما طرابيشي، فالأولى تتمثّل في كون اللّغة قد جُمعت من الأعراب وحدهم دون غيرهم ، وهذا ما قد ينافي في نظرنا قيام الخليل بن أحمد بوضع معجم اللغة العربية على أسس ثلاث وهي القرآن والشعر الجاهلي وكلام العرب، أمّا الثانية وهي أنّ حياة أعراب الجاهلية حسيّة بدائيّة فيرفضها مستنداً إلى نتائج الدّراسات الأنثروبولوجية الحديثة التي ترفض مصطلح البدائيّة، وذلك إزَّاء مجتمعات أمريكا القديمة أو سكان أستراليا الأصليِّين [2]، فكيف يصحُّ إذن على المجتمع العربي الجاهلي ؟.

يقرِّر طرابيشي بأنُّ تُّهمة الحسيَّة للّغة لا تتحقّق إلاّ في أربعِ حالاتٍ – كون الجابري لم يوضِّح معنى الحسيّة – وهي كالآتي : [3]

*) الآريّة : المصطلح البديل لمصطلح اللغات الهندية الإيرانية وهي مجموعة كبيرة من مجموعات اللغات التي تشكل مشجر اللغات الهندية الأوروبية ذا الطوائف الثمانية . (مشتاق عباس معن، المعجم المفصل في فقه اللغة ، مرجع سابق، ص 28).

**) الساميّة: المجموعة الأم التي تجمع لغات بلاد شبه الجزيرة العربية وشمال إفريقيا وأغلب دولها ناهيك عن الحبشة ، رقعتها متماسكة وذات إمتداد جغرافي متواصل .(المرجع نفسه ، ص97)

[1]- محمود خالص ، معضلة اللغة العربية ، مرجع سابق ، ص 282.

[2]- المرجع نفسه ، ص 287. -

[3]- جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي ، مصدر سابق ، ص 197.

*أن تكون ألفاظها محافظة على وجودها الفيزيقي ولم تتجرَّد، بمعنى لم تحقِّق بعدُ انفصالاً تاماً كدلالات عن مدلولها.

*أن تكون الألفاظ لا تزال تدبُّ فيها قوة إحيائية فلا تستطيع آداءَ الأفكار والمعاني المجرَّدة إلاّ بقدر ما تتصوّرها كما في الديانات الروحيّة، ومثال ذلك ما تقدِّمه اليونانية في طورها الهوميري فكلمة النَّوم لا تعني النَّوم، وإنّما تعني التّنويم أي تحمل معنى القوّة لا الإشارة، وهذا ما يُستبعد على اللغة الجاهلية فلا قوّة روحية تمتاز بها كلماتها .

* إنْ لم تكن قد أصابت من التطور ما يغني إمكانياتها في التعبير عن المقولات العامة والأفكار المجردة، فالقبائل التسمانية في استراليا تحوز إسماً لِكلِّ نوعٍ منَ الشجر لكنّها لا تَحوزُ لفظا مكافئاً لإسم الشّجرة .

*أن تكون مضطرَّة بحكم لبوثها في مستوى حسّي من مراحل تطوّرها لأنّ تجمُّع بين الإحساس والفكرة في لفظ واحد، ما يعني في هذه الحالة عجز اللّغة عن التّعبير عنِ المعاني المجرَّدة بمفردات أخرى غير تلك التي تحاكي الطّبيعة .

بعد عرض هذه الحالات، أمكن لنا أن نتساءل عن إمكانيةِ تواجدِ هذه الحالات أو حتّى بعضها في العربية لتصحَّ بذلك دعوى الجابري؟ وهو ما يُناقشه طرابيشي لإسقاط هذه الحالات الحسيّة بالنسبة للعربية :

الحالة الأولى : بِحسبان أنّ لغات القبائل الطوطمية تقدم مثالاً عن هذه الحالة فكلمة الملك والأم والأخت ليست أسماء رمزية بل هي إستحضارات لأشخاص معينين[1]، ولهذا فالجابري مهما تجنَّى عن اللّغة العربية لن يتطرَّف إلى حدِّ مماثلتها بلغات القبائل الطوطميّة، و اتِّهامها بعدمِ الفصل بين الإسم والمسمَّى، ومنه فهذا المعنى قد يُستبعد توظيفه من قبل الجابري.

*الحالة الثانية : يتضمّن هذا المعنى أن تكون الكلِمة تحمل القوَّة لا الإشارة، كما في العهد اليوناني عند هوميروس ، وبالمقارنة مع اللّغة الجاهلية التي هي مجرَّد تعبير عن أسماء في الأذهان لمُسمّياتها الخارجيّة نجد أنفسنا أمام لغة مختلفة، ولذلك قد يُستبعد قصدَ هذا المعنى أيضا.

*الحالة الثالثة : في هذه الحالة تمتنع اللغة عن التعبير عن المقولات المجرّدة والأسماء الكلية، كما سبق الذِّكر بشأن القبائل التِّسمانية وقبائل البَاكايْري، وكما نعلم أنّ العربية تحتوي على الأجناس، بل إن الجنس من مقولاتها النّحوية فلا بدّ من أن الجابري بعيد أيضا عن هذا المعنى .

*الحالة الرابعة : في هذه االحالة يكمن معنى الحسية بالجمع بين الإحساس والفكرة المجرّدة، كالمثال الذي يقدّمه رينان عن اللغة العربية في تعبيرها عن الغضب فقط بالإشارات الفزيولوجية، ودون أن يناقش طرابيشي رينان في مذهبه عن اللغة العربية، فإنّه يرى اللغة العربية بعيدة من أن يصيبها حكمه، فمفهوم الغضب في العربية بريء من كل محاكاة طبيعية أو فيزيولوجية [2] ، لكنّنا مع ذلك لا نستبعد إمكانية توظيف الجابري لهذا المعنى بالذات.

*) القبائل الطوطمية : قبائل بدائية في استراليا والهنود الحمر نسبة إلى طوطم وهو كائن خرافي تدين له بالعبادة والتقديس ويكون غالبا نباتا أو حيوانا، (إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ص 113).

[1]- جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي ، مصدر سابق ، ص197.

[2]- المصدر نفسه ، ص201.

وعلى هذا الأساس فإن طرابيشي يسقط الثلاث المعاني الأولى باستبعادها من أن يكون الجابري قد قصد بها معنى الحسية، باستثناء المعنى الأخير الذي نراه الأقرب لذلك، وهذا ما يجعل دعواه قد تستنفذ كل احتمالات صحتها .

ما يمكن ملاحظته إذن وبحكم التزام طرابيشي المنهجي، أنه لا يُنكر أن تعرف العربية ما تعرفه أكثر اللّغات الأرض من إزاحة للمعنى من الدّلالة الحسية إلى الدّلالة المجردة " [1]، فطرابيشي يُساوي بين اللغة العربية وبين باقي اللّغات استنادا إلى القوانين التي تسري عليها، ومنها قانون الإزاحة من الدلالة الحسية إلى المعنوية ، فطبيعة تفنيد طرابيشي لأحكام الجابري تنِمُّ عن حقيقة موضوعية، وهي تفاوت اللغات وسقوطها بسبب عدم مسايرتها للتّطور لا مفرّ من استيعابها، وهو ما يوجب على المتكلمين بها إزالة المعوقات التي تواجه اللغة في سبيل تطويرها بدل الدفاع عنها ومدحها .

إذن فطرابيشي يُعلن حذَرَه من أن يكون قد وقع ضحيّة في حكم القيمة، ألا وهو "التمييز" في مقابل "التعييب" الذي ظهر من الجابري، فهما موقفان لا علميان يعودان بعلم اللغة من الطور الوصْفِي والوضعِي الذي آلت إليه اللّسانيات الحديثة، إلى الطور القيمي والمعياري الذي كانت عليه.

وأخيرا وليس آخرا فاللغة العربية ليست كما يصفها ناقد العقل العربي بأنها لغة حسية لأعراب بدويين، لكونها تحتل تاريخا يضرب بجذوره في اللغات الإنسانية الكبرى كالأكادية والبابلية والفينيقية و الآرامية .

[1] - محمود خالص، معضلة اللغة العربية ، مرجع سابق، ص266.

المبحث الثاني : دعوى ذهنية وموسيقية ولا حملية اللغة العربية

المطلب الأول : ذهنية اللغة العربية

يقول الجابري :" لقد اتَّجه الخليل بن أحمد بعقله الرياضي إلى وضع قوالب نظرية افتراضية، لا تعدِم أصولاً في واقع اللّغة، فوزَّع النّطق العربي منطلقا في البداية من الإمكان الذهني، غير آبه بالإمكان الواقعي، بل إنّه ليُخيَّل إلينا أن الخليل بن أحمد بتعامله مع الحروف الهجائية الثمانية والعشرين كمجموعة أصليّة، اشتق منها كل المجموعات الفرعيّة الكامنة معتمداً في ذلك على "نظامِ التَقلِيب" * "[1]، يتبيّن لنا من خلال هذا أنّ الأساس الذي قام عليه معجم العين كان ذهنيا بامتياز مشيراً إلى ذلك الأثر الذي يمكن أن يترتب فيم بعد بسبب عدم انطلاقه من الإمكان الواقعي .

من خلال مراجعة طرابيشي لهذا النص والتي تتجلى فيه تلك المُعاظَلة** العلمية ، والتي تبطنها نية هجائيّة مبيتة على اللّغة العربية حسب ما يراه[2]، وعلى هذا الأساس يظهر لنا جليّا ذلك التناقض بين معنى التجريد ومعنى الحسية إذ يمكن اعتباره نقطة مهمة من نقاط المُعاظَلة المُعلنْ عنها، وهو ما يدفعنا للتّساؤل بدل طرابيشي إن كانت اللغة العربية حسيّة جمعت من أفواه الأعراب، فكيف تكون نظرية الخليل رياضيّة تجريدية ؟

*) نظام التقليب : من النظم الثلاثة التي استند إليها الخليل بن احمد في في تنظيم معجمه وأراد بها النظام : تقليب الألفاظ على الأوجه المحتملة لإجراء استقصاء كامل بذلك وبعدها يمكنه رصد الألفاظ المهملة والمستعملة عند العرب وقوام هذا هو الفكر الرياضي . (مشتاق عباس مَعْن، المعجم المفصل في فقه اللغة، مرجع سابق، ص184).

[1]- محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص76.

**) يعرف طرابيشي المعاظلة بأنها كل ما يقوم من الإشكاليات على بناء منطقي صارم وملزم في نتائجه إنطلاقا من مقدمات مستوهمة وفي كل الأحوال غير مستقرأة من الواقع . (جورج طرابيشي، إشكاليات العقل العربي، مصدرسابق، ص220) .

[2]- المصدر نفسه، ص 219.

ربَّما هذا التناقض يرتدُّ في واحدٍ من أسبابه إلى ما يسمِّيه طرابيشي اللاَّمعرفة [1]، وهي بمثابة ركن أساس للمُعاضَلة، ولذلك فلابد من أن تكون اللاَّمعرفة وما أوقعت به الجابري من تناقض، بمثابة عامل نخر لإشكاليته، والتي يحبس فيها الصانعين المزعومين لهذه اللغة في عصر التدوين .

يُرجِع طرابيشي هذه اللاَّمعرفة إلى كون الجابري قد عرف كتاب العين للخليل بن أحمد فقط بالوساطة[2]، إذ يستند في إثبات ذلك إلى دليل رقمي مستمد من معجم العين نفسه ، وهو ما يختلف عن رقم الجابري المقدم وهو 12305412 كلمة .

وقبل التطرق إلى مناقشة طرابيشي لهذا الرقم ارتأينا أن نقدِّم بعض الملاحظات على نص الجابري:

*أنّ الخليل إستوفى كل التركيبات المحتملة من حرفين إلى خمسة حروف وهذا العمل ليس بالأمر الهين .

*كون الخليل أهمل الغير مستعمل من التركيبات، لكن الإهمال هنا هل كان بمعنى الإسقاط الكلي أم الإشارة إليه في المعجم ؟

*إشارة طرابيشي إلى أن الجابري قد استند إلى بعض المؤرخين، وهذا ما يوحي بأنّ الرقم الذي صرَّح به لم يكن هو من أحصاه .

[1]- جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي ، مصدر سابق ، ص221.
[2] -المصدر نفسه ، ص222.

يُقلِّب طرابيشي كتاب العين فيجده يقع في ألفيْ صفحة ، وضِمن ثمانية أجْزاء لو جُمعت كلماته لما تعدَّت المِليون ونصف، أمَّا موادُّه اللُّغوية فلا تتعدَّى الواحد والعشرين ألف وتسعُمئة وإثنان وخمسين 21952، وأمَّا ألفاظه فمقدرة ب33990 لفظا، وهو رقم يقلُّ بنحو 400 مرة من رقم الجابري[1]، لكنْ بالرغم من إقرار طرابيشي بكثرة المترادفات أو المعاني في اللغة العربية، إلاّ أنّه لا يقدِّم أيَّ تفسير لهذه الظّاهرة السَّلبية، سوى نفي أنْ تكون طريقة الخليل بن أحمد أو شخصه سببًا فيها .

إنّ ما يُلفت الإنتباه هنا في اعتراض طرابيشي نقدُه المبالغ فيه، لأنّ استغراق نقد مسألة نظريّة اللّغة من طرفه كان تجاوز 14 صفحة عن مؤلف العين، وشخصه الخليل بن أحمد، بخلاف ربَّما ما كان يجب أنْ يتمحور عليه النِّقاش، وهو وضع اللّغة العربية ككل بشكل موضوعي .

يكاد يخرج طرابيشي بأنّ إخفاق اللّغة في التّعبير عن الحاجات المستخدمة ومواكبة العصور والتّاريخ لا تقع على عاتق رجال عصر التدوين، وإنّما على المتأخِّرين عنهم، الذين كانوا مجرَّد ممثّلين ثانويِّين على مسرح العقل المكوَّن، لكونهم كما يقول : " قيَّدوا أنفسهم بمثال من تقدَّموا عليهم، وتوقفوا على فتوحاتهم بدل أن يشيِّدوا قمما جديدة " [2].

هناك رؤية مُهمَّة وعميقة تظهر لنا من خلال تأويل طرابيشي للعمل الجبَّار الذي قام به الخليل بن أحمد، تمثلت في منع اندثار الكلمات القديمة وموتها، لتفسح المجال لكلمات أخرى جديدة وهو

[1]- جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي ، مصدر سابق ، ص212.
[2]- المصدر نفسه ، ص 232.

ما يستدعي أحياء للغة لتعيش عصر غير عصرها، مع أنّ هذه الرؤية من وجهةِ نظرنَا تحتمل القراءتين السلبية والايجابية .

كما نلتمس موقفاً مؤيدا لطرابيشي وهو للباحث محمود خالص، وذلك من خلال تأكيده على أهميَّة كتاب العين مشيرا إلى غياب تلك الذِهنيّة المَزعومة، ودليلُه ذلك الثَّناء الكبير من مُختلف الدَّارسين لصنيع الخليل المنطقي الرياضي ،[1] ومنه فإنَّ هذا التَّأكيد لهو إقرار بأنَّ الحُكم على العربية من خلال المعاجم والقواميس يكادُ يكون بمثابة التجنِّي عليها .

المطلب الثاني : موسيقيَّة اللّغة العربية

يَكتبُ الجابري: " ...فليس غريباً إذنْ إذا لاحظ المرء أن النّغمة الموسيقيّة في اللّغة العربية تعوِّض أو تُغطِّي فقر المعنى ... إنّ الأُذن هنا تنوبُ عن العقل في الرَّفض والقبول، ومعروف في اللّغة العربية أنّ الأذن هي التي تستسيغُ وليس العقل "[2]، فمن خلال هذا النص يظهر جليّا أنّ الجابري وبإصرار يهجو أحدَ خصائص اللغة العربية، وهي طبيعتها الموسيقية، وذلك بإحلال الأذن مكان العقل في رفض وقبول الكلام .

إن ما يسترعي انتباه طرابيشي من مرافعة الجابري ذلك الفصل المزدوج للأذن عن العقل وللموسيقى عن اللغة، فمن ناحية تشريحية الكلمات المسموعة ينقلها العصب المخي السمعي إلى المركز اللغوي المخي المختص بالكلمات المسموعة، لا إلى المركز المخي السمعي"[3].

[1] - محمود خالص ، معضلة اللغة العربية ، مرجع سابق، ص328.
[2]- محمد عابد الجابري، التراث والحاثة، مرجع سابق، ص 91 .
[3]- محمود خالص ، معضلة اللغة العربية ، مرجع سابق ، ص334. نقلا عن جعفر نوري ، اللغة والفكر، ص23.

أمّا من ناحية ألسنية يظهر أنّ الجابري هنا قد تجاوز أولى بديهيّات علم اللغة، فهو بِفصله هذا قدْ أغفل سِمة صوتية اللّغة، والظاهرة طبعا في تعريفات عديد اللّغويين، وأبرزهم ابن جنّي:"اللغة هي أصوات يعبر بها كل قوم عن إغراضهم " [1]، هذا الاتفاق على رأي متقارب يؤكِّد بما لا مجال فيه للشكّ إقتران اللّغة بالأصوات .

وعلى هذا الأساس ومن خلال وجهتيْ النّظر التشريحية والألسنية، إذا اعتبرنا اللغة أصوات فهي لا تقبل أن تفصل عن أداة إرسالها اللّسان، ولا عن أداة تلقّيها الأُذن ، ومنه فاللّغة وبحكم نصابها من العلاقات الصوتية وَجَب أن تكون موسيقيّة ، أي لها خصوصيتها الموسيقية، فما الخصوصيّة التي تمتاز بها موسيقية العربية إذن ؟

إنّ العربية لغة جذْريّة أو اشتقاقية [2]، فهي جذرية من ناحية الرّد إلى الأصل، واشتقاقية فهي تتكفّل بتوليد الألفاظ من هذا الأصل، ومنه أدركنا مظهر من مظاهر منطقيّة العربية والذي يظهر جليا من خلال مركزيّة الوزن* في اللغة العربية [3]، وهنا يمكن القول أنّ النظام الموسيقي في العربية مَبْني من الدّاخل بمعنى أن مفرداتها تحمل أوزانها في مبْناها بالذّات من خِلال " نِظام التفعيلة " بعيدًا عن أيِّ إضافةٍ خارجية فيما تعلّق مثلا بالقافية والسجع .

يخلص طرابيشي ختاما إلى أنّ موسيقية العربية دليلٌ على نظاميّتها، والنظاميّة كما نعلم هي مظهر من مظاهر العقلانية، وفي هذا الصدد يؤكد جيرار لوكونت في قواعد العربية أنّها تتميز

[1]- ابن جني ، الخصائص، تحقيق محمد النجار، الجزء الأول ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، د ط ، د ت، ص 233.
[2] - محمود خالص ، معضلة اللغة العربية ، مرجع سابق ، ص 340.
*) الوزن: هو مقابلة اللفظ بحروف الميزان وهي الفاء والعين واللام لمعرفة ما فيه من حروف أصلية أو زائدة ولضبط ما في مبناه من حركات أو سكون . (محمد سمير نجيب اللَّبدي ، معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 1985م، ص 239).

[3]- جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي ، مصدر سابق ، ص235.

بنظاميّة مورفولوجيّة ونحويّة مدهشة، شبهُ هندسيةٍ عظيمةُ الإغراءِ للعقولِ الديكارتية[1]، ومنه يصحُّ القول بأنّه " لا عقل بلا لغة ولا لغة بلا عقل" [2]، والذي يُبيح لنا أن نصف موقف الجابري بأنّه هجائي واختزالي إلى حدٍ لا معقول، في حين فإنّ طرابيشي أيضا قد نظر للّغة كفائض لفظي، وغضَّ النَّظر عن واقعها ومدى استخدام هذا الفائض من طرف النُّخبة والعامّة على حدٍّ السَّواء .

المطلب الثالث : لا حملية اللغة العربية

يذهب الجابري في التّراث والحداثة ، وهو يهجو اللّغة إذ يعتبر الجملة في العربية سواءً كانت إسميّة أم فعليّة، فهي تتكفّل بإصدارِ بيانٍ لا بإصدارِ حكمٍ، كما هو الحال في الجملة اليونانية، وفي اللّغات الآرية بكيفيّة عامة[3] .

في مقابل هذه الأحكام التي يُصدرها الجابري فإنّ طرابيشي يعتبر فرضيّة " الحمل "* قد فقدت قيمتها في اللّسانيات الحديثة لاعتبارات ثلاث : [4]

*أنّ الحمل مقولةٌ منطقية لا نحوية، وذلك بعد أن هيمن المنطق الصوري على النظريات النّحوية فاستقرّ في الأوهام أنّ كل جملة تتألّف بصورة طبيعية من محمولٍ وموضوع .

*إذا سلَّمنا بإمكانيّة خضوع النّحو لمتطلباتِ المنطق، فإنّ المنطق القائم على فكرة الحمل ليس ملزماً للنظرية اللغوية، أي أنّ اليونانية ليست لغة نموذجية، وفي هذا إشارةٌ إلى خصوصيّة اللّغات

[1]- محمود خالص، معضلة اللغة العربية ، مرجع سابق ، ص347.
[2] - جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي ، مصدر سابق، ص 240.
[3]- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة ، مرجع سابق ، ص 148.
*) الحمل : يدل في اللغة على إلحاق الشيء في الحكم عند قول الشيء على الشيء، وهو اتحاد المتغايرين ذهنا في الخارج وهو إما حمل المواطأة أو حمل الاشتقاق ومن دلالته نسبة أمر إلى أمر آخر سلبا أو إيجابا باختصار هو اتصاف الموضوع بالمحمول. (أبو رغيف الموسوي ، الدليل الفلسفي الشامل، الجزء الأول ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ط1، 2013م، ص 470).
[4] - جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي ، مصدر سابق ،ص242.

التي لربّما تغاضى عنها الجابري، وخاصّة صعوبة تطبيق منطق ينتمي إلى لغة هي مختلفة تماما عن لغة أخرى .

* ثمّة تيّار غالب في اللّسانيات الحديثة ومنهم سابير، إذ يقول بكونيّة الحمل، وإنْ صحَّ هذا الإعتبار، فإنّه يُسقط أي تصنيف للّغات، وذلك لكونيّة الحمل في جميعها، وهذا عكس ما نراه مع الجابري .

بعيدا عن هذه الإعتبارات فإنّ الحمل عند طرابيشي هو في أسس العربية وإن بتعبيراتٍ مختلفة، كالمُسند والمُسند إليه ، المُخبر والمُخبر عنه ، المُبتدأ والخَبر ....الخ [1]، فهو يرى أنّ الإسناد* في اللّغة العربية هو المرادف للحمل المنطقي، إذ يعرف الإسناد بأنّه الحُكم بشيءٍ على شيء، فالمحكوم به يُسمَّى مُسنداً والمحكوم عليه يسمَّى مُسنداً إليه .

وخلافاً للجابري يؤكّد طرابيشي أنَّ اللّغات الآرية هي التي تشترط الحمل بالفعل لا العربية، وفي ذلك يستدلُّ طرابيشي بنفس مرجع الجابري في هذه النقطة بالذّات، إذ يؤكِّد أرسطو أنّه لا حمل في اليونانيّة على الأقل إلا بوساطة الفعل[2]، والذي يُفهم من هذا أنّ وظيفة الفعل هي الإشارة إلى شيء يُقال على شيء آخر، وبهذا فلا عبارة تحوي حملاً إلاّ أن تكون تابعة لزوماً لفعل أو حالة فعل، أي بدون الفعل لا إثبات ولا نفي، باختصار يُصبح الفعل هو واسطة الحمل .

[1] - جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي ، مصدر سابق ، ص248. نقلا عن محمد الإشعال: هندسة النحو العربي .

*) الإسناد : لغة ضم شيء إلى شيء، وفي اصطلاح النحاة ضم إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة أي وجه يحسن السكوت عليه، و به يتم بناء الجمل وهو نوعان أصلي بإسناد الفعل للفاعل والمبتدأ للخبر و إسناد تبعي أي بالتبعية كإسناد البدل و المعطوف بالحرف . (محمد سمير نجيب اللّبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، مرجع سابق ، ص 107) .

[2] - جورج طرابيشي ، إشكاليات العقل العربي ، مصدر سابق ، ص 250.

إنّ الغريب في الأمر هو أنّ الجابري يَعتبر البيان مضاداً للحمل، فإذا كان الإخبار –الخَبرُ في الجملة الإسمية– ليس حملاً فماذا يُقصد بالحمل إذن ؟ ، إنّ طرابيشي ومن خلال نصوص أرسطو يُبَيّن لنا أنّ الحمل: " هو شيء يقال على شيء آخر "[1]، و أمثلة ذلك هذا إنسان ، فلان أبيض ، أو أسود ...الخ، ومنه فالحمل إذنْ أقربْ أنْ يكونَ قولٌ يقالُ على مقول عليه، بدل أن نعتبره نطقاً بحكم .

وختاما فإنّ طبيعة أحكام الجابري العامّة ، بدون أي تفصيل، ربّما قد جعلت بناءه الخاص ببيانيّة اللّغة العربية غير متين، ومع هذا فلا إمكانية لتقييم ردود طرابيشي في ظلِّ غياب أيِّ تفصيلات، أو بتعبير أدقّ مبرِّرات من الجابري تتعلّق بأحكامه على اللّغة العربية.

[1]- جورج طرابيشي، إشكاليات العقل العربي، مصدر سابق، ص 253.

خاتمة

وفي خِتامِ هذا البحث أمْكن لنا أن نُوجِزَ أهم النتائج المُتوصّل إليها وهي :

1- إنّ ما جعل الجابري يتوجّه للّغة العربية في دراسةِ مكونات العقل العربي، هو فصاحة العربي وتقديسه للغته ، فضلا عن الأثر الذي تركه ذلك الإنجاز العظيم الخاص بجمع اللّغة وتقعيدها على الأعمال العلميّة الأخرى، والتي قامت من بعده، وهذا من ناحية الآليّات المُستخدمة لذلك .

2- إنّ نظرة هردر للجدليّة القائمة بين العقل واللغة، نأَتْ عن جبريّة هامان من جهة، وصحّحت مقولة الجابري عنه في تلك الجبرية بالذّات من جهةٍ أخرى .

3- إن تأويل الجابري لفكر فون همبولت في موضوع العلاقة بين اللّغة والفكر تأويل خاطئ، فليست اللّغة محدد أساس للعقل، بل اللّغة تابعة للعقل الذي ينتجها، وفي أبعدِ الأحْوال فالعلاقة بينهما متبادلة وليست باتجاه واحد .

4- عندما يقول إدوارد سابير بالنسبية اللّغوية، فهو يعني ضمنيًّا نفي تشكيل اللّغة لنظرة الإنسان إلى الكون تشكيلاً مطلقاً .

5- إن المقارنة بين لغة الإسكيمو القطبيين ولغة العرب الصحراويين، والقول بفقر لغة الصحراء بمفردات الثلج و البرد غير مقبول، وذلك راجع بالدرجة الأولى إلى اختلاف مستويات التجربة بين العالمين اختلافاً غير قابل للقياس .

6- يَخلصُ طرابيشي وبعكس الجابري ، إلى أنّ العقلية العربية الإسلامية على النقيض من العقلية اليونانية، وكنتيجة لعامل اللّغة فهي لا تستسيغ وضع الأشياء خارج الزمان .

7- إنّ اللّغة العربية قد شهدت نوعا من الإستجابة للتاريخ، وذلك من خلال الطَّفرات التي مرت بها ، فعامل تقدُّم الثّقافة كافٍ لإثبات تاريخيّتها .

8- إن اللّغة العربية ليست حسيّة لأعراب بدويين كما يصِفها الجابري ، وذلك لكونها تحتلُّ تاريخا يضرب بجذوره في اللّغات الإنسانية الكبرى كالأكادية والبابلية والفينيقية والآرامية ...

9- إن دَعْوى ذِهنيَّة اللّغة العربية للجابري يكاد يعدم دَعواهُ على حسِّيتها ، إذ أنّ اعتبار الخليل بن أحمد وزَّع النّطق العربي منطلقا من الإمكان الذهني، يتنافى مع اعتبار أن اللُّغة قد جُمعت من أفواهُ الأعراب الحسيين دون غيرهم .

10- إن موسيقيّة العربية دليل على نظاميتها ، لكون هذه النظاميّة يمكن اعتبارها مظهر من مظاهر العقلانية .

11- إنّ بيانيّة اللّغة العربية تقتضي حمليتها ، إذ أنّ الإسناد (المسند والمسند إليه ، المبتدأ والخبر...) في اللّغة العربية هو ما يرادف الحمل المنطقي (محمول وموضوع) في اليونانية .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولا : المصادر :

1- جورج طرابيشي، إشكاليات العقل العربي " نقد نقد العقل العربي "، دار الساقي، بيروت، ط1، 1998.

2- جورج طرابيشي، نظرية العقل العربي، دار الساقي، بيروت ، ط1، 1996 .

3- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2006م.

ثانيا : المراجع :

1- إبن جني ، الخصائص، تحقيق محمد النجار، الجزء الأول ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، د ط ، د ت.

2- ابن خلدون ،المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي، خزانة ابن خلدون بين الفنون والعلوم والأدب، الدار البيضاء، ط1، 2005م.

3- أبو حاتم الرازي، أعلام النبوة، تقديم جورج طرابيشي، دار الساقي، بيروت، ط1، 2003م .

4- إميل بريهيه ، تاريخ الفلسفة، الجزء السابع، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ط2، د ت ، 1993 .

5- أندري لالاند، العقل والمعايير، ترجمة نظمي لوقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط 1979م.

6- بشير خليفي، الفلسفة وقضايا اللغة " قراءة في التصور التحليلي "، الدّار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م .

7- حسن حنفي ، التجديد والتراث " موقفنا من التراث القديم " ، المؤسسة الجامعية للدرسات والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ط4، 1992م.

8- خالد فهمي و أحمد محمود، مدخل إلى التراث العربي الإسلامي، مركز تراث للبحوث والدراسات، مصر، ط1، 2014م .

9- روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة أحمد عوض، سلسة عالم المعرفة، الكويت، د ط ، 1997م .

7- طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط2، د ت .

8- عبد الوهاب جعفر، الفلسفة واللغة ،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط3، 2008م.

9- فيرديناند دي سوسير ، علم اللغة العام ، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد ،ط3 .

10- محمد أركون، الإسلام –أوربا –الغرب: " رهانات المعرفة وإرادات الهيمنة" ، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط2، 2001م .

11- محمد أركون ، تاريخية الفكر الإسلامي ، ترجمة هاشم صالح ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط2، 1996.

12- محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط10، 2009م .

13- محمد عابد الجابري، حفريات في الذاكرة من بعيد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1997 .

14- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة –دراسات ومناقشات، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1 ،1991 م .

15- محمد عبد الشافي القوصي، عبقرية اللغة العربية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، الرباط، 2016م.

16- محمد مبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ، ط7، 1981م .

17- وليد محمود خالص معضلة اللغة العربية بين الجابري وطرابيشي " دراسة نقدية تحليلية لمشكلات العربية في الفكر العربي الحديث، تقديم جورج طرابيشي و عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2012م .

ثالثا : المعاجم والموسوعات :

1- إبن منظور ، لسان العرب، ج13، دار صادر، بيروت ط3، 1414 هـ، ص 144.

2- محمد سمير نجيب اللَّبْدي ، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط1، 1985م .

3- إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، دط، 1983 م .

4- إبن فارس ، معجم مقاييس اللّغة ، ج5 ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م .

5- أندري لالاند، معجم الفلسفة، تعريب خليل احمد خليل، تعهد وإشراف أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت – باريس.

6- أنطوان نعمة وآخرون، المُنجِد في اللّغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2001م.

7-مصطفى مُرشد جُبير، معجم الفلاسفة الأمريكان ، إشراف وتحرير علي عبود المحمداوي، تقديم محمد الشيخ، دار ومكتبة عدنان طبع – نشر –توزيع، بغداد، ط1، 2015م .

8- الجرجاني، التّعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط ، د ت .

9- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، 1982م .

10- أبو رغيف الموسوي ، الدليل الفلسفي الشامل، الجزء الأول، دار المحجة البيضاء، بيروت ، ط1، 2013م .

11- مشتاق عباس مَعْن، المعجم المفصل في فقه اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 2001م .

رابعا : الأطروحات

- عبد الحليم بلواهم ، قراءة في التراث العربي الإسلامي" حسين مروة نموذجا"، إشراف إسماعيل زروخي، مذكرة ماجستير، غير منشورة ، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، 2007/2006م.

خامسا : المواقع الالكترونية

- جورج طرابيشي ، مروان رضوان، مقال نشر على الرابط :-www.discover syria.com/news/5817

فهرس المحتويات

- إهــداء
- شكـر وعــرفــان
- مقـدمــة ..... أ
- **الفصل الأول : مدخل مفاهيمي وتأصيلي لإشكالية علاقة اللغة بالعقل العربي**....6
- المبحث الأول : بحث في المفاهيم..... 7
- أولا: تعريفات اللغة 7
- ثانيا: تعريفات العقل.....11
- ثالثا: مفهوم التراث 14
- المبحث الثاني : التأصيل النقدي لإشكالية اللغة العربية.....17
- أولا: تقديس العربي للغته.....18
- ثانيا: عملية جمع اللغة العربية وآثارها.....21
- **الفصل الثاني: رؤية طرابيشي لعلاقة اللغة بالفكر– اللغة بالعالم – اللغة بالزمان**..... 23
- المبحث الأول: تقويم طرابيشي لإشكالية العلاقة بين اللغة والفكر..... 24
- أولا: من خلال هردر Herder (1744–1803)..... 24
- ثانيا: من خلال همبولت Humboldt(1767–1835)..... 28
- ثالثا: من خلال إدوارد سابير Edward Sapir (1884–1939)..... 33
- المبحث الثاني: جدلية اللغة بالعالم – اللغة بالزمان..... 38
- أولا: نفي مساواة اللغة بالعالم في مثال الثلج 38
- ثانيا: دحض فكرة خلو اللغة العربية من الزمان 41
- **الفصل الثالث: ردود طرابيشي على مزاعم الجابري** 47

- المبحث الأول: دحض دعوى لا تاريخية وحسيّة اللّغة العربية.....48
- أولا: لا تاريخية اللّغة العربية 48
- ثانيا: حسيّة اللغة العربية 51
- المبحث الثاني: عن ذهنيّة وموسيقيّة ولاحملية اللغة العربية.....56
- أولا: ذهنية اللغة العربية 56
- ثانيا: موسيقية اللغة العربية.....59
- ثالثا:لاحملية اللغة العربية 61
- خاتمة 64
- قائمة المصادر والمراجع.....67
- فهرس المحتويات.....73